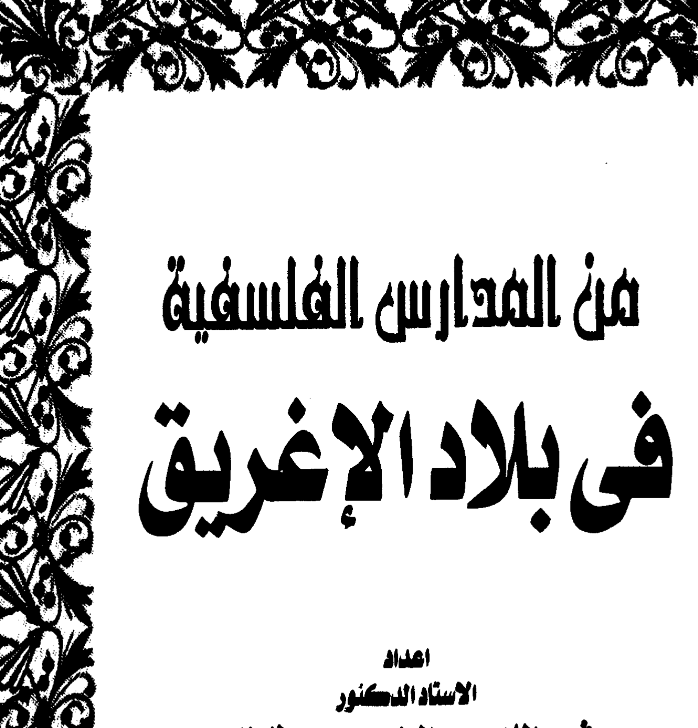


من المدارس الفلسفية
فى بلاد الإغريق

اعداد

الأستاذ الدكتور

فرج الله عبد البارى ابو عطا الله

استاذ ورئيس قسم العقيدة والفلسفة الاسلامية

بكلية اصول الدين والدعوة الاسلامية

بطنطا

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الحمـــد لله رب العالميـــن ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعـــد &

فهـــذه مجموعـــة مـــن المـــدارس الفلســـفية – التي نشأت وترعرعـــت فـــي بـــلاد اليونان قصدنا من عرضها أن نقف على الفلســـفة اليونانـــية ، وكيف كانت تفكر وتستنبط وتربط بين الأفكار المتناثرة لتخرج نظرات فلسفية شبه متكاملة .

وأثـــناء عرضـــنا لـــتلك المدارس استطعنا أن نرصد بعض الأفكار التي تبناها المحدثون خاصة في الفلسفة المادية ، فقد وجدنا أصـــول القول بالتطور – عند أنكسمندر ، والقول بأزلية المادة عند ديمقريطس.

وقد عرضنا – موجزاً – عن تعريف الفلسفة ونشأتها والفرق بيـــنها وبيـــن العلم وعرضنا وجهة النظر التي لا ترى فكراً فلسفياً منظماً قبل الفلسفة الإغريقية .

وتتبعـــنا المدارس الفلسفية منذ نشأتها – كالطبيعيين الأوائل والفيثاغوريين والطبيعيين المتأخرين .

ثم سقراط وفلسفته ومنهجه في البحث .

وخصصـــنا – المدرســـة الأبيقورية ، والمدرسة الرواقية – بالحديـــث علـــى اعتـــبار أنهمـــا مـــن أبرز المدارس الفلسفية بعد أرسطو . (١)

وقد توخينا في دراستنا – المنهج العلمي في البحث ، وحتى يتمشى هذا المنهج مع البحث في الفلسفة .

ونسأل الله أن يوفقنا لخدمة العلم والدين ،

وأن يتقبل عملنا خالصاً لوجهه الكريـــم .

أ . د / فرج الله عبد الباري أبو عطا الله

أستـــاذ ورئيس قســـم العقيدة والفلسفـــة

بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية

جامعة الأزهر

---

(١) **الباحث بصدد الإعداد لدراسة مفصلة حول أفلاطون وأرسطو وما أضافاه إلى الفكر الفلسفي اليوناني خاصة ، والفلسفة بوجه عام . نسأل الله أن يعيننا لإتمامه .**

الفصل الأول

{ معنى الفلسفة }

مـن العسـير وضـع تعريف جامع للفلسفة نظراً لاختلاف مفهومهـا مـن عصر إلى عصر ، فإذا وضعنا تعريفا للفلسفة عند اليونان فإنـه بـلا شـك لا يتوافق مع تعريف الفلسفة الحديثة أو المعاصـرة ونفـس الأمـر أيضاً عند المذاهب الفلسفية المختلفة ، فالمذهب المادي له تعريف خاص للفلسفة ، وكذا المذهب المثالي – وتعـريف الفلسفة في المذهب المثالي – لا يوافق المذهب المادي ، وهكذا .

وإذا كان التعريف الجامع المانع لكلمة فلسفة شبه مستحيل – فلا أقل من أن نتتبع أصل الكلمة ونشأتها .

أصل كلمة فلسفة

يذهـب المؤرخـون إلى أن " فيثاغوراس " صاحب النظرية الهندسـية الشهيرة هو أول من وضع لفظ فلسفة ، ويروي عنه أنه قـال " لست حكيماً فإن الحكمة لا تضاف لغير الآلهة ، وما أنا إلا فيلسوف " أي محب للحكمة [١]

وعلى هذا فكلمة فلسفة ليست عربية ، وإنما هي معربة عن اليونانية نحتها العرب من اللغة اليونانية ويرجع أصلها إلى كلمتين –

---

[١] تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٢٢) .

إحداهمـــا " فـــيلو " ومعناها محبة أو صداقة أو ايثار ، والأخرى " سوفيا " ومعناها الحكمة ، فمعنى الكلمتين بعد التركيب محبة الحكمة وصداقتها وهذا معنى كلمة فلسفة .

أما الفيلسوف فهو محب للحكمة وطالبها ، وقد نحت العرب هذا اللفظ من كلمة " فيلوسوفوس " اليونانية . [١]

وورد في المعجم الفلسفي تحت كلمة فلسفة .

١ – يدل اللفظ في الأصل اليوناني على " محبة الحكمة " .

٢ – اصـــطلاحاً – أطلق قديما على دراسة المبادئ الأولى وتفسير المعرفة عقليا ، فتمثل عند أرسطو الفلسفة النظرية والعملية وقصرها الرواقيون على المنطق والأخلاق والطبيعة .

٣ – أُخذ بهذا المعنى في القرون الوسطى والتاريخ الحديث ، فـــيرى ابن سينا أن الغرض من الفلسفة الوقوف على حقائق الأشياء كلهـــا ســـواء أكان وجودها باختيارنا أم خارجاً عن إرادتنا ، وهي نظـــرية وعملـــية ويضـــع تحـــت النظرية الطبيعيات والرياضيات والإلهيات ، وتحت العملية تدبير المدينة وتدبير المنزل والأخلاق ، ويشـــبه ديكـــارت الفلســـفة بشجرة جذورها الميتافيزيقا ، ومن هذه الجذور انبثقت فروع شتى .

٤ – منذ القرن التاسع عشر أخذت العلوم تستقل شيئاً فشيئاً ،

---

[١] **في تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ١٠) .**

وأصـــبحت الفلســـفة تقتصر اليوم على المنطق والأخلاق ، وعلم ا لجمال وما بعد الطبيعة ، وتاريخ الفلسفة ونزع بعض المحدثين إلى فصل الأخلاق والجمال باستخدام منهج البحث التجريبي .

٥ – تطلق الفلسفة أيضاً على مذهب بعينه كفلسفة ديكارت أو علـــى جملـــة المذاهب في بلد أو في عصر معين كالفلسفة الفرنسية المعاصرة . [١]

الفرق بين العلم والفلسفة :

هـــناك عـــدة فروق بين الفلسفة والعلم نحاول أن نضعها في نقـــاط محـــددة لئلا يختلط الفهم على الدارس – بين مصطلح العلم ومصطلح الفلسفة ، وأهم هذه الفروق هي :

١ – أن العلم يلتزم جانباً واحداً من جوانب الكون بالبحث والدراسة ، فعلـــم الفلـــك لا يـــتجاوز حدوده التي هي دراسة الأجرام ، وعلم النبات يختص بدراسة النبات فحسب .

أمـــا الفلســـفة فهي لا تلتزم جانباً واحداً من الكون – وإنما الكـــون بأرضه وسمائه مدار بحثها والفلسفة تحاول أن تجعل العلوم كلها في قانون واحد .

٢ – أن العلـــم لا يتـــبع ظواهر الوجود ، وإنما يقف عند الظواهر ويدرســـها مسلما بصحتها أما الفلسفة فلا تقف عند الظواهر ، وإنما تحلل هذه الظواهر وتتجاوزها إلى ما بعدها إلى أن تصل إلى المبدأ

[١] **المعجم الفلسفي الصادر عن مجمع اللغة العربية (ص ١٣٨ – ١٣٩) .**

الأول الـــذي يـــدور حولـــه الوجود بأسره ، فهي تبدأ سيرها حيث ينتهي شوط العلم .

فعلـــى سبيل المثال علم الهندسة يقرر أن الخطين المتوازيين لا يلتقـــيان فـــي كـــل مكـــان وفي كل زمان ولا يتلاقيان الآن ولا مســـتقبـــلاً ، ولكن الفلسفة لا تطمئن إلى قول العلم ولا تهدأ إلا إذا وجدت ظاهرة ما يؤيدها تأييداً ثابتاً تاماً لا يدع مجالاً للشك .

٣ – أن الفلســـفة تمـــيل إلـــى الـــتجريد أي أنها تحاول ما اســـتطاعت ألا تـــربط الفكرة المعينة بجسم من الأجسام بل تريد أن تصـــل إلـــى الأفكار الخالصة المجردة – فالفلسفة تحاول أن ترتفع بـــالعقل البشري إلى مستوى يستطيع أن يسيغ الأفكار المجردة دون أن يلجأ إلى المادة ليستعين بها على تصوير ما يريد .[١]

نشأة الفلسفة :

شـــاع بين الكثيرين أن الفلسفة هي نتاج يوناني غربي خالص ليس للشرق أي جهد فيها وحجة هؤلاء . تتلخص في الآتي:

١ – أن التفكـــير الذي ظهر في بلاد الشرق قبل طاليس لا يســـمى فلســـفة ، لأن الفلســـفة تبدأ من اليونان ، فهم الذين أوجدوا الفلسفة واخترعوا نظرياتها العقلية وقضاياها المنطقية .

٢ – أن الأمـــم الشرقية كالصين والهند والفرس ومصر لم يكـــن عـــندهم نظريات فلسفية وإنما كان لهم بعض تعاليم توارثوها

---

[١] **انظر : قصة الفلسفة (ص ٨ ، ٩ ، ١٠) .**

وعادات تواضعوا عليها ومعتقدات مستمدة من الكتب الدينية المختلفة مثل كتاب الموتى عند قدماء المصريين وكتاب الفيدا عند الهنود وكتاب الأفستا عند الفرس .

٣ – أن الفكر الشرقي القديم لم يكن منظماً ولا منتجاً ، بل كان مضطرباً ولا قدرة له على التمحيص والتحليل ، والنظريات الفلسفية التي ظهرت تدل على التفكير العميق والنظرة المتأنية .

أما ما وجد عند الأمم الشرقية فهو تفكير يجمع بين المتناقضات ولا يرى من بأس في عبادة صنوف الحيوان .

ولقد حمل لواء هذا الرأي كثير من القدامى من أمثال أرسطو ومن المحدثين الغربيين والشرقيين على السواء – وعلى رأس الغربيين المستشرق (بارتلي سنتهلير) يقول في مقدمة كتاب (الكون والفساد) لأرسطو : أما من جهة الفلسفة الشرقية فإننا لا نعرف بل ربما لن نعرف أبداً من أمرها شيئاً معيناً بالضبط فيما يختص بفصولها الرئيسية وانقلاباتها – فإن أزمنتها وأمكنتها وأهلها – تكاد تعزب عنا على السواء أنها متعصية دون إدراكنا مدعاة للشكوك لما يغشاها من كثيف الظلمات – إن الفلسفة الشرقية لم تؤثر في فلسفتنا مع التسليم بأنها تقدمتها في الهند والصين وفارس ومصر ، فإننا لم نستعر منها لا قليلاً ولا كثيراً ، فليس علينا إلا أن نصعد إليها لنعرف من نحن ، ومن أين جئنا . [١] ويغالي

[١] راجع : (ص ١٠٤) من مقدمة كتاب الكون والفساد لأرسطو تأليف أحمد لطفي السيد نقلاً عنه في تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٤٠ ، ٤١) .

فـيقـول : (إن العلـم على جميع صوره كان معدوما في الشرق فاخترعه الإغريق ونقلوه إلينا . [١]

وقـد تابع هذا المستشرق بعض الشرقيين – كالدكتور أحمد أمين ، والدكتور زكي نجيب محمود ، والأستاذ يوسف كرم [٢] في كتبهم عن الفلسفة اليونانية .

وقد فنَّد الدكتور محمد غلاب في كتابه الفلسفة الإغريقية هذه المـزاعم واعـترف بالفضل للإغريق بالتنظيم والتحليل ،ولكنه في الوقـت نفسه وضع الفلسفة الإغريقية في وضعها الصحيح ، يقول " علـى أن مغـالاة فلاسـفة المسلمين وعلماء أوربا في الحكم على الإغـريق لا تسـتطيع أن تحول بيننا وبين تقديرهم الصحيح الذي نوجـزه في أن هذه الأمة قد استفادت من الشعوب الشرقية المتمدينة في العصور الأثرية فلسفة وعلما وأدباً وفنا ، ثم حملت كل كذلك إلى ربوعهـا فتذوقـته وهضـمته ، ثم أعملت فيه عبقريتها الممتازة ، فأخرجـت إنتاجاً خاصاً جليلاً أثار للإنسانية كلها سبيل الحياة العقلية كلها . [٣]

وهذا في تقديرنا الحكم الصحيح على فلسفة الإغريق – فإذا كـانوا قـد أخرجوا لنا نتاجاً عقلياً خالصاً ، فإنهم في الوقت ذاته قد اسـتفادوا مـن الأمم الشرقية في هذا النتاج ، ورب سائل يسأل إذا

---

(١) **نفسه .**

(٢) **انظر قصة الفلسفة اليونانية : المقدمة (د ، هـ) ، وانظر (ص ٢ ، ٣) .**

(٣) **انظر : الفلسفة الإغريقية (ص ١٢ ، ١٣) .**

كانـــت الأمـــم الشرقية عندها هذا التفكير فلم لم تخرج للعالم إنتاجا فلسفياً مثلما أخرج الإغريق ؟

الحـــق أن هـــناك بعـــض العوامـــل السياسية والاقتصادية والجغرافـــية قـــد تجمعـــت لتساعد الإغريق على هذا الإنتاج يقول الدكـــتور عـــبد الرحمـــن مرحبا في كتابه من الفلسفة اليونانية إلى الفلســـفة الإسلامية " إن اليونان ليسوا جنساً مختلف عن غيرهم من الأجـــناس كما يذهب كثير من الغربيين وإنما هناك بعض الظروف التـــي تتهـــيأ لبعض الأمم فتجعلها تنبغ في ناحية من النواحي ، هذه الظـــروف غالباً تتمثل في البيئة والتاريخ والحضارة وهذه العوامل أورثـــت اليونانييـــن حرصـــاً علـــى الحرية في حياتهم الاقتصادية والاجتماعـــية وجعلـــتهم مرئـــي العقـــل والطبع ، وسريعي التهيج والحساسية إلى أقصى قدر ومدى مستطاع وهذه العوامل إن توافرت لغـــيرهم ، فـــإنهم سينتجون مثل اليونان ويبتكرون أفكاراً جديدة – فالســـبب حضاري بحت لا جنسي تكويني كل ما في الأمر أنه أتيح لهـــم مـــا حـــرم علـــى غـــيرهم من الحرية الفكرية والاجتماعية والاقتصادية . (١)

وهذا التعليل نقطة أخرى تضاف إلى ما ذكره الدكتور غلاب – فهم قد تأثروا بغيرهم ثم ساعدتهم ظروفهم السياسية والاقتصادية والاجتماعـــية والجغرافـــية علـــى صهر أفكارهم والخروج بها في

---

(١) **انظر من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية : الدكتور / عبد الرحمن مرحبا (ص ٨١ – ٨٣) بتصرف .**

صورة منظمة كما نقرؤها اليوم في تراثهم .

أضف إلى ذلك أن الشرقيين وخاصة المصريين قد بحثوا في مسائل هي من صميم الفلسفة مثل : وحدة الوجود ،والعدالة ، والنفس ، والخلود ، والحياة الأخرى ، وهذه المسائل من أدق المسائل الفلسفية ، ولم يكن للغربيين بها من علم إلى أن انتقلت إليهم خاصة أن التاريخ يخبرنا أن بعضاً من فلاسفة اليونان جاءوا إلى مصر واستفادوا منها نذكر منهم – طاليس [١] وفيثاغورث [٢] ، وأفلاطون الذي يذكر مصر في أكثر من موضع لا سيما في كتبه الجمهورية ، والقوانين – ويذكرها ذكر من عرفها معرفة شخصية . [٣]

أدوار الفلسفة اليونانية :

يختلف العلماء كثيراً في تقسيم الفلسفة ومراحلها المختلفة ووسط هذه الاختلافات يمكن أن نأخذ بتقسيم مراحل الفلسفة اليونانية فهو التقسيم الذي نراه مناسباً من خلال دراستنا للفلسفة اليونانية وهذا التقسيم كالآتي :

الدور الأول : وهو دور النشأة ويشمل الفترة الواقعة من طاليس إلى ما قبل سقراط .

---

(١) **انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ١٢) .**

(٢) **انظر ك في تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٦٠) .**

(٣) **انظر يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٦٣) .**

ويمتاز هذا الدور بالآتي :

أ = بمحاولة تفسير العالم .

ب = وضع الأسس والنظريات الفلسفية .

هـ = اتجاه الفكر إلى مناهج الجدل وأصول الأخلاق خاصة من خلال السوفسطائيين وسقراط .

د = وضع بذور الفلسفة العملية .

الدور الثاني : دور النضج : وهو الدور الذي شمله أفلاطون ، وأرسطو .

ويمتاز بالآتي :

أ = الاشتغال بمسائل الفلسفة كلها نظرية وعملية ويمثل هذا الاتجاه أفلاطون .

ب = مناقشة المسائل الفلسفية مناقشة عقلية صرفه ووضع الفلسفة بأقسامها المختلفة في وضعها النهائي ويمثل هذا الاتجاه أرسطو .

الدور الثالث : دور الذبول : وهذا الدور ليس فيه ابتكار وأهم خصائصه .

أ = اتجاه الفلاسفة فيه إلى الأخلاق متأثرين بالشرق في ذلك .

ب = مزج الفلسفة بالدين والتصوف ، وإسهام الشرقيين في الفلسفة بلغتها اليونانية . (١)

---

(١) انظر بتصريف كبير يوسف كرم تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٨ = ٩) .

الفصل الثاني

{ الطبيعيون الأوائل }

يقصد بالطبيعيين الأوائل الفلاسفة الأربعة الذين عالجوا مسائل العلم الطبيعي ، وهؤلاء الأربعة هم طاليس ، وأنكسمندريس ، وأنكسمانس ، وهير قليطس ، والثلاثة الأوائل عاشوا في أيونية ، والرابع عاش في أفسوس ، وإنما صنف معهم لأن الاعتبار بما تناوله من آراء بصرف النظر عن موطنه ونشأته .

وبالرغم من الأساطير التي نسبت إلى آلهة اليونان وعلاقتها بالكون فإن هؤلاء الفلاسفة الأربعة قد فكروا في مظاهر الكون ، وحاولوا أن ينفذوا إلى أسراره ، من خلال التفكير العقلي القائم على النظر والربط بين الأسباب ، والمسببات ، للتوصل إلى مصدر ذلك الكون ، والفلاسفة الأربعة نشأوا في عصر واحد ، وربطهم رباط واحد ألا وهو أن الكون نشأ نشأة طبيعية ، ولم ينشأ عن قوة أخرى خارجة عنه ، وإن ذهب كل واحد منهم إلى مصدر يختلف عن الآخر ، وسنتحدث عن هؤلاء الفلاسفة الأربعة ، مبرزين أهم ما توصلوا إليه من خلال التفكير العقلي . (١)

أولاً : طاليس : أول هؤلاء الفلاسفة هو طاليس أحد الحكماء السبعة (٢) ، والحكماء السبعة لم تثبت قصتهم تاريخياً ، والاختلاف

---

(١) **الفلسفة اليونانية (ص ١٠) : يوسف كرم .**

(٢) **انظر : حكمة الغرب (جـ ١ ص ٢٢) .**

بين العلماء في عدهم وإن كان الاتفاق على أن طاليس واحد منهم [١] ، ونقد انفرد طاليس بالعلم بينما كانوا يعنون بالسياسة والأخلاق [٢] ، وتكاد المصادر تجمع على أنه وجد ما بين (٦٢٤ / ٥٤٦ ق . م) وقد انتقل إلى معظم أنحاء الشرق وجاء إلى مصر ، فأخذ علم المساحة وشغل بمسألة فيضان النيل ، وقد نقلت عنه أخبار كثيرة منها أنه تحدى بعض معاصريه حين أخذ عليه أنه يشتغل بالمسائل التافهة ، فما كان منه إلا أن استأجر كل معاصر الزيتون حتى إذا جاء المحصول وفيراً وأراد كل واحد أن يعصر زيته اضطروا جميعاً أن يذهبوا إلى طاليس لعصره [٣] .

وهكذا أثبت أنه لو أراد أن يجمع المال الوفير لجمعه ولكن جمع المال لا يستحق ذلك [٤] ، يقال : إن علمه بالفلك والأرصاد الجوية هما اللذان دلاه على أن المحصول سيكون وفيراً . [٥]

وسواء صحت هذه الرواية أم لم تصح فإن المتواتر عنه أنه كان عالماً في الرياضيات والفلك [٦] ، ويقال إنه تنبأ بكسوف للشمس ، وقد وقع كما تنبأ به . وقد حسب الفلكيون هذا الكسوف

---

(١) **قصة الفلسفة (ص ١٥) : د / أحمد أمين ، د / زكي نجيب محمود .**

(٢) **الفلسفة اليونانية (ص ١٢) .**

(٣) **فلاسفة الإغريق (ص ١٣) ، والفلسفة اليونانية (ص ١٢) .**

(٤) **انظر : الإغريق " هو . ديكتو " (ص ٢٢٣) – دار الفكر العربي – سنة ١٩٦٢ م .**

(٥) **حكمة الغرب (ج ١ ص ٣٣) .**

(٦) **قصة الحضارة (ج ٦ ص ٢٥١) .**

فوجدوا أنه قد حدث في عام (٥٨٥ ق . م) ومن ثم فقد اعتبر ذلك التاريخ مرحلة النضوج لطاليس [١] .

وإن كان البعض يذهب إلى أن معرفة طاليس بالفلك وكسوف الشمس لم يكن من ابتكاره ، وإنما يرجع الفضل فيه إلى المصريين، والبابليين الذين كانت عندهم سجلات خاصة بهذا الشأن [٢] ، وكان اليونانـيون علـى عهد طاليس يرجعون الكسوف إلى غضب الآلهة غضباً مؤقتاً .

أراؤه الفلسفية : أهم الآراء التي خرج بها طاليس هو قوله: (إن الجوهر الأساسي الذي تكونت منه الأشياء هو الماء [٣] ، ولم يكـتف طالـيس بأن نسب الأشياء إلى الماء ولكنه علل السبب الذي جعلـه يذهـب إلى أن الماء أصل الموجودات ، فهو يعتبر أن الماء يظهـر في كل الحالات ويتشكل بكل الأشكال فهو صلب ، وسائل ، وبخـار ، ويتمـثل في المطر والندى والرطوبة ، وهو غذاء النبات والحـيوان ، والإنسـان ، ومـا منه يتغذى الشيء فهو يتكون منه بالضـرورة ، ونظراً لرحلاته ، ومشاهداته فإنه قد ربط بين التراب والمـاء ، ذلك أن التراب يتكون من الماء ويطغى عليه شيئاً فشيئاً ، كما يشاهد في الدلتا المصرية ، وفي نهر أيونية حيث يتراكم الطمي

---

(١) **انظر حكمة الغرب (جـ ١ ص ٣٢ ، ٣٣) .**

(٢) **الفلسفة اليونانية (ص ١٣) ، وحكمة الغرب (جـ ١ ص ٣٣) ، وفلاسفة الإغريق (ص ١٢ ، ١٣) .**

(٣) **فلاسفة الإغريق (ص ١٣) .**

عامـاً بعـد عام ، وما يشاهد في هذه الأحوال الجزئية ينطبق على الأرض بالإجمـال [١] ، وكانـت الصورة العامة لدى طاليس عن الأرض أنها (قرص سطح عائم فوق الماء ، وأن الماء يوجد فوق رؤوسـنا ، وحواليـنا وإلا مـن أين تأتي الأمطار ، وأن الشمس ، والقمر والنجوم ما هي إلا بخار في حالة من التوهج ، وأنها تجري فوق رؤوسنا على صفحة السماء المائية التي تعلونا ثم تجري حولنا علـى نفـس البحر الذي تقوم فوقه الأرض حتى تصل إلى أماكنها المقدرة . [٢]

وهـذه محاولة تدعو إلى الإعجاب وكل ما فيها أنها قد جمعت عـدداً من الحقائق المشاهدة في صورة متماسكة ، واستطاع طاليس فـي فـترة مـبكرة جداً في تاريخ الفلفسة اليونانية ، أن يربط بين الجزئـيات بعضها والبعض الآخر ليخرج بقانون عام كلي ، وسواء أخطـأ أم أصـاب فإنها محاولة عقلية في فترة مبكرة جداً ، ولذلك يعتـبر البعض أن (طاليس كان أول من عبر عن أفكاره بعبارات منطقية لا أسطورية) [٣]

وهذا ما جعل برتراند رسل ، يتجاوز عصر طاليس ويربط بيـن ما ذهب إليه من أن الماء هو أصل كل شيء ،وبين ما اكتشف

---

(١) انظـر : فلاسـفة الإغـريق (ص ١٣) ، وحكمـة الغـرب (جـ ١ ص ٣٤) ، وتاريخ الفلسفة اليونانية (ص١٣) ، وفي الفلسفة اليونانية (ص٥٠ – ٥١)

(٢) العلم الإغريقي (ص ٤٣) تأليف بنيامين فارنتن – ترجمة أحمد شكري سالم – مكتبة النهضة – سنة ١٩٥٨ م .

(٣) الإغريق (ص ٢٣٢) .

علمـيا فـي العصر الحديث من أن الهيدروجين أصل الماء ، وهو العنصـر الكيميائي الذي يتكون منه كل شيء ، يقول رسل : قوله " أي طاليس " أن العالم يتألف من الماء عبارة ليست مسرفة إلى الحد الذي تبدو عليه للوهلة الأولى ، ولا مجرد نتاج للخيال المنفصل عن المشـاهدة ، فقـد تبيـن في عصرنا هذا أن الهيدروجين الذي هو العنصـر المولد للماء هو العنصر الكيميائي الذي يمكن تخليق جميع العناصر الأخرى منه . [١]

ومـا يذكـره " رسل " عن " طاليس " وموافقته للمكتشفات العلمية الحديثة نجده يتكرر كثيراً على ألسنة كثير من المعاصرين إذ يربطون بين أقوال القدامى والمحدثين [٢] ، ولكن هذا غير مسلم به مـن الناحية المنهجية ، كما يقول الدكتور (فؤاد زكريا) في تعليقه علـى ما ذهب إليه رسل إذ يعتبر (فؤاد زكريا) أن رسل وقع في خطـأ منهجي تمثل في قراءة كشوف علمية حديثة في أقوال فلاسفة قدماء – ويرى أنه على فرض تحقيق أقوال القدماء حديثاً فإن طريقة الكشف في الحالتين مختلفة كل الإختلاف ، فهي تأملية عند الفلاسفة القدمـاء ، تجريبية عملية عند العلماء المحدثين والمعاصرين [٣] ، وبالرغم من محاولة " رسل " مع طاليس وربطه بين أفكاره وأفكار المتأخريـن إلا أن هناك من يقلل من شأن طاليس ، ويذهب إلى أن

---

(١) **حكمة الغرب (جـ ١ ص ٣٤) .**

(٢) **انظر : النظرية المادية في المعرفة (ص ٦٣ – ٦٥) .**

(٣) **حكمة الغرب (جـ ١ ص ٣٤) .**

أفكـــاره ساذجة لا يستحق أن يعد في عداد الفلاسفة ، فضلاً عن أن يوصف بأنه أبو الفلسفة [١] ، والحق أن طاليس يعتبر رائداً بالنسبة إلـــى آرائه ، ولكن بالنسبة إلى عصره وبيئته فقد نشأ في بيئة تؤمن بالأساطير ،والآلهة التي لا تفترق كثيراً عن الإنسان إن لم تكن أحط منه وقيمته إذن تكمن في أنه " رد جميع العناصر إلى عنصر واحد، أو مبدأ واحد ظهر عند كل شيء ويقوم به كل شيء " . [٢] ويكفي أنـــه أول مـــن حاول أن يفسر الكون لا بالأساطير ولا بقوى الآلهة المتعددة التي اتخذها أسلافه .

ولا تحـــتاج الـــنزعة المادية إلى كبير جهد لاستخراجها من فلســـفة طالـــيس ، فقد رد الكون إلى عنصر مادي هو الماء ، وهذه الـــنزعة فـــي الفلسفة تعتبر أساساً لما يأتي بعدها ، من نسب خلق الكـــون إلـــى قوة طبيعية ، ولذلك " فطاليس هو الذي صبغ الفلسفة فـــيما قـــبل سقراط بتلك الصبغة المادية التي عرفت بها وكفى ذلك خطراً . [٣] كما يقول أحمد أمين ، وزكي نجيب محمود .

---

(١) قصة الفلسفة (ص ١٥) .

(٢) مدخل إلى الفلسفة أزفلد كوليه (ص ١٥٦) ، ترجمة : د / أبو العلا عفيفي – الناشر : دار النهضة العربية – الطبعة الخامسة – سنة ١٩٦٠ م .

(٣) قصـــة الفلســـفة اليونانـــية (ص ١٥) وينبغـــي أن ننـــبه إلـــى أن الإســـلاميين والشهرستاني على وجه الخصوص يحـاول أن يظهر طاليس علـى أنـه كـان موحداً وأن المبدأ الأول الذي قال به يقصد به الباري تعالى ، انظر : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (جـ ١ ص ١١٥ – ١١٩) ، والفلسفة الإغريقية .

ثانيـــاً : انكســـمندر : المصادر الفلسفية تكاد تجمع على أنه عـــاش فيما بين (٦١٠ – ٥٤٧ ق . م) ، وكان معاصر لطاليس ، ويذهـــب البعض إلى أنه كان تلميذاً له ويذكر عنه أنه كان مخترعاً ومتمرساً في المسائل العلمية ، وهو أول من رسم الخرائط ، ويقال إنـــه اخترع كرة فلكية على أن الراجح أنه أخذها من البابليين الذين رحل إليهم وتتلمذ على أيديهم . [١]

آراؤه الفلســـفية : يذهب البعض إلى أن أنكسمندر أول من ألف كتاباً منثوراً من الإغريق ، وعلى الرغم من أن هذا الكتاب قد فقد إلا أن هناك دلائل توحي بأن هذا الكتاب كان في متناول فلاسفة الإغـــريق القدمـــاء ، وقـــد برهن " جون بيرنت " الذي يعتبر أحد الأعـــلام فـــي الفلســـفة الإغريقية وتاريخها على ذلك – بأن جمع مقتبســـات مـــن فلاسفة يونانيين بعده تبين مدى التطابق التام بين ما ذهب إليه أنكسمندر ، وما أخذ عنه أولئك الفلاسفة ، وخرج من ذلك " بيرنـــت " أن كـــتابه كان متداولاً عندهم [٢] وإن كان هذا لا يعد دليلاً أكيداً لوجود كتاب لإنكسمندر واستفادة غيره منه – لاحتمال أن تكون آراؤه قد تناقلت شفوياً عن طريقه وطريق تلاميذه ، ولاحتمال أن يكون ما عند أنكسمندر وما عند غيره من الفلاسفة توارد خواطر وأفكار بين السابق واللاحق ، وفحوى آراء أنكسمندر ، سواء سلمنا

---

(١) انظر : فلاسفة الإغريق (ص ١٤) ، وحكمة الغرب (ج ١ ص ٣٤) وتاريخ الفلسفة اليونانية (ص ١٤) .

(٢) فلاسفة الإغريق (ص ١٤) .

بوجود كتابه أم لم نسلم ، فإن فحوى آراءه تدور حول :

أولاً : أنــه انــتقد آراء طالــيس المــتعلقة بالأساس الأول للموجــودات ، وذهب إلى أن الماء لا يصلح لأن يكون مبدأ أول ، لأن اســتحالة الجــامد إلى سائل بالحرارة يعني أن الماء والبارد – ســابقان علــيه – فــلا يصح أن يكون الماء والحالة هذه هو المبدأ الأول . [١]

ثانياً : ذهب إنكسميندر إلى أن السبب الأول والعنصر الأول مــن عناصــر الأشــياء الــذي منه أصل الوجود هو اللامحدود أو اللامتناهي أو الأبدي وهي مادة لا تحدها حدود . [٢]

وهــذا الأبــدي أو اللامحدود يمتد في كل الإتجاهات ، وهو عــبارة عــن تجمع لا نهائي للمادة يمتد في كل الإتجاهات – وهو مــزيج من الأضداد جميعاً التي كانت في الأصل غير محدودة ، ثم انفصلت بحركة المادة ، وما زالت الحركة تفصل بعضها عن بعض ، وتجمع بعضها مع بعض بمقادير متفاوتة حتى تألفت بهذا الاجتماع والانفصال الأجسام الطبيعية على اختلافها . [٣]

والسؤال الذي يطرح هنا ، كيف نشأ العالم في نظر أنكسمندر ؟

---

(١) **فلاسفة الإغريق (ص ١٤ ، ١٥) ، وحكمة الغرب (ج ١ ص ٣٤ ، ٣٥) ، وتاريخ الفلسفة اليونانية (ص ١٤) .**

(٢) **العقل في مجرى التاريخ (ص ٧٥) – تأليف : الدكتور / علي شلق – دار الهدى للطباعة والنشر .**

(٣) **انظر : فلاسفة الإغريق (ص١٤،١٥) ، وحكمة الغرب (ج ١ ص٣٤ ، ٣٥) .**

إن العـــالم نشأ كنتيجة آلية – ولذلك يعتبر أنكسمندر أول من قال بالآلية في الفلسفة اليونانية .

ثالـــثاً : المذهـــب الآلي : يعتبر انكسمندر هو أول من قال بالآلـــية التـــي تعني أن العالم نشأ كنتيجة آلية ، أي بمجرد اجتماع عناصـــر مادية وافتراقها بتأثير الحركة دون علة فاعلية متمايزة ، ودون غايـــة . (١) وبتأثير الحركة انفصل الحار ،والبارد ، وارتفع الحـــار إلى أعلى ، وتكونت منه السماء ، وسقط البارد إلى أسفل ، تكونـــت مـــن الأرض التي اعتبرها أسطوانة تطفو بلا قيود ، وأنها معلقـــة دون شـــيء يمســـكها في الفضاء ، ويوجد البشر على أحد طرفيها (٢) ، ولكن ما الذي يمسك الأرض ؟ ذهب أنكسمندر إلى أن بعدهـــا عن محيط الدوامة متساو في كل اتجاه ، وقد كان هذا تقدماً ملحوظاً جداً في التفكير في ذلك الوقت (٣) ، وهذا حداً بالبعض أن يقول " أن انكسمندر كاد أن يقول بقانون الجاذبية . (٤)

رابعـــاً : التطور : إذا كان انكسمندر قد ذهب إلى أن السماء والأرض نشـــأتا بحـــركة آلـــية مـــن اجتماع العناصر المتضادة ، واختراقها ، فكيف نشأ الإنسان وسائر المخلوقات ؟

لقـــد ذهـــب إلـــى أن الأحياء نشأت من الماء عندما بخرته

---

(١) **تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ١٥) وحكمة الغرب (جـ ١ ص ٣٥) .**

(٢) **قصة الحضارة (جـ ٦ ص ٢٥٤ – ٢٥٥) .**

(٣) **الإغريق (ص ٢٣٦) .**

(٤) **تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ١٥) .**

الشمس ، وأن الكائنات كانت في الأصل سمكا مغطي بقشر شائك ، ثــم مــا لبثت أن زال عنها القشر ، وتطورت إلى كائنات أخرى ، وكذلــك الإنسان الذي انحدر من كائنات مائية أصلها السمك [١] ، حملــته فــي بطــنها زمــنا طويلاً إلى أن تمت قواه وتم تكوينه ، واســتطاع أن يقف على اليابسة وأن يحفظ حياته بنفسه [٢] ، وإن كانت هذه الأفكار بدائية إلى حد كبير ، ولكن البعض يعلي من شأن أنكســمندر بسببها ، وحجتهم أنه لم تدفعه أدلة علمية كما أنه لم يكن في عصره مجموعة من الحقائق الملاحظة والمصنفة وهذه النظرية لــم تأت عفو الخاطر خاصة في تطور الإنسان ، ولأنها كانت مبنية في جزء منها على التفكير المنطقي . [٣]

وينبغــي أن نلاحظ أن ما ذهب إليه أنكسمندر ، وغيره من الفلاســفة الطبيعيــن الأوائــل ذهب إليه الماديون المحدثون – مما يجعلنا لا نبذل كبير جهد في الربط بين أقوال القدامى والمحدثين – من أرباب الفكر المادي ، وصدق الله العظيم إذ يقول : **﴿ كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم ﴾** [٤]

---

(١) انظر السخرية اللاذعة لبتراند رسل على هذه المقولة – حكمة الغرب (جـ ١ ص ٣٦)

(٢) انظر : حكمة الغرب (جـ ١ ص٣٥ – ٣٦) ، والعلم الإغريقي (جـ ١ ص٤٤) ، وتاريخ الفلسفة اليونانية (ص ١٥) .

(٣) انظر : الإغريق (ص ٢٣٦ ، ٢٣٧) ، والعلم الإغريقي (جـ ١ ص ٤٤) .

(٤) سورة البقرة (آية / ١١٨) .

ثالثاً : أنكسيمانس :

عـاش هـذا الفيلسـوف مـا بين (٥٥٨ – ٥٢٤ ق . م) والـبعض يذهـب إلـى أنه تتلمذ على يد أنكسمندر [١] ، والبعض الآخـر يذهب إلى أنه كان أصغر زملائه [٢] ، وليس هناك تاريخ مفصـل عـن أنكسيمانس وإن كان بعض الغربيين يذهب إلى أن له كتاباً كزميله أو أستاذه أنكسمندر .

آراؤه الفلسـفية : إذا كان أنكسمندر قد ذهب إلى أن أصل الكـون هـو اللامحـدود أو اللانهائـي ، ولـم يحدده تحديداً دقيقاً فـإن أنكسـيمانس قد ذهب إلى أن أصل الكون شيء محسوس هو الهواء [٣] ، وقال : " إنه نشأت منه الأشياء الموجودة ، والتي كانت موجـودة والتـي سـيكون لها وجود ، خلقت منه الآلهة والأشياء المقدسـة ، في حين أن غيرها نشأت من أنسالها [٤] ، ولكن لماذا الهـواء بـالذات ؟ لأن الهـواء لا متناه ، ويحيط بالعالم ، ويحمل الأرض ، وهو ألطف من الماء ، ولا يفتقر إلى قاعدة ، وأنه أسرع حركة وأوسع انتشاراً " [٥] ، وهنا نلاحظ أنه يفاضل بين الهواء ، وبيـن غـيره من العناصر التي ذهب إليها طاليس وأنكسمندر وهي محاولـة عقلية مبكرة تحاول أن تفاضل بين الأشياء وتختار أشملها

---

(١) **فلاسفة الإغريق (ص ١٧) ، والموسوعة الفلسفية المختصرة (ص ٧٢) .**
(٢) **تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ١٦) .**
(٣) **العقل في مجرى التاريخ (ص ٧٥) .**
(٤) **فلاسفة الإغريق (ص ١٧) .**
(٥) **تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٦) .**

وأكملهـــا – ثـــم إن اختياره للهواء قد تم بناءً على أنه قدر أي " أن الهـــواء مصـــدر الحـــياة لأنـــه بمجـــرد انـــتهاء التـــنفس تنتهي الحياة " (١)

كـــيف نشـــأت الموجـــودات من الهواء ؟ لقد ذهب أنكسيمانس إلى نظرية :

التكاثف والتخلخل :

ومعـــناها أن الموجودات تحدث من تكاثف الهواء وتخلخله ، فإنه بتخلخل الهواء ينتج النار ،وما يفصل بها من الظواهر الجوية ، وتكاثفـــه ينـــتج الرياح ، والسحاب ، والمطر ، وتكاثف الماء ينتج التراب فالصخر ، وهكذا ، (٢) ونظرية التكاثف ، والتخلخل تؤدي إلـــى الآلية وعدم العلة الفاعلة العاقلة الغائية ، ولذلك فهو يعتبر أن العـــالم يعمل بعلة واحدة تعمل على نحو آلي يقول " تماماً كما تفعل نفوسنا لو كانت هواء على تماسكنا فكذلك يفعل التنفس ، والهواء في إحاطـــتهما بالعـــالم بأســـره " (٣) ، فالهواء هو الذي يحيط بالعالم ويوجـــده ويحفظه كما أن الهواء هو الذي يعمل على تماسك النفس ويمنعها من الموت .

وهـــي نظرة مادية لا تتعدى المحسوس إلى المعقول ، وهي

---

(١) **موسوعة الفلسفة (ج ١ ص ٢٧٩) .**

(٢) **انظر تـاريخ الفلسـفة اليونانـية (ص ١٦) ، وفـي تـاريخ الفلسـفة اليونانـية (ص ٥٥) .**

(٣) **فلاسفة الإغريق (ص ١٧) .**

فـــي الوقـــت ذاته نظرة ساذجة إلى حد كبير وآراؤه تلك هي التي جعلـــت الباحثيـــن في اختلاف حول إنتاجه الفلسفي ، والسؤال الذي يطرح هنا – هل قدم أنكسيمانس جديداً في الفكر أو وقف عند مقالة ســـابقيه ؟ الـــبعض يذهـــب إلـــى أن آراءه ونظرياته كانت خطوة إلـــى الـــوراء ، وأنـــه كـــان يعتمد في آرائه على سابقيه ، طاليس وأنكسمندر . [١]

والبعض الآخر يذهب إلى أنه تقدم بالفلسفة خطوة إلى الأمام، وإن آراءه فـــي مجملها كانت أقدر على الاستمرار ، ويذهب بعض المحدثين من الفلاسفة الثقات إلى أن " النظرة الميكانيكية البحتة إلى الطبيعة التي ظهرت مرة أخرى في أوائل العصر الحديث ، قد كانت إلـــى حـــد ما نتيجة لازمة لمذهب أنسكيمانس القائل بأن الهواء هو أصل الأشياء جميعاً " [٢] ، وكما قلنا سلفا ، فإن محاولة الربط بين القدامـــى والمحدثيـــن لن تتوقف وبخاصة في الأفكار المادية ، على الرغم مما يوجه إليها من عدم المنهجية العلمية .

رابعاً : هيراقليطس :

هـــو رابـــع الفلاســـفة الطبيعييـــن الأوائـــل عـــاش ما بين (٥٤٠ – ٤٧٥ ق . م) وكان ينتمي إلى أسرة أرستقراطية عريقة فـــي مدينة أفوس ، ولكنه زهد في الملك والحياة ، وكان يباعد بينه وبين العامة ويحتقر معتقداتهم الوثنية وعبادتهم السخيفة ، ويبدو أنه

---

(١) **موسوعة الفلسفة (جـ ١ ص ٢٧٩) .**

(٢) **مدخل إلى الفلسفة (ص ٦٣ – ٦٤) أزفلد كوليه .**

لــم يكــتف باحــتقار العامة فقط ، ولكنه جاوزهم إلى العلماء الذين يشــتغلون بــالعلم الجزئي ، وكان يعتقد أنه قد اكتشف شيئاً تحاشاه غيره من الفلاسفة ، وكانت كتاباته فيها شيء من الإبهام والغموض، والتنبؤ حتى أنه عرف بالغامض . [١]

آراؤه الفلسفية :

أولاً التغير : إن أهم آراء هيراقليطس هو التغير المستمر ، فهــو يــرى أن الأشياء في تغير متصل وسيلان دائم ، فأنكر الدوام المطلــق ، والنســبي والمؤقت ، وقد نقل عنه " أنت لا تنزل النهر الواحــد مرتيــن ، فــإن مياهاً جديدة تجري من حولك أبداً " [٣] ، ونسبت إليه تلك الكلمة المشهورة ، كل الأشياء في صيرورة [٤] ، وينطلق من هذه الكلمة إلى أن الاستقرار موت وعدم ،أما التغير فهو صــراع بين الأضداد ليحل بعضها محل بعض ، ولذلك يمتنع تعيين خصــائص ثابــتة للأشياء ، فإن ماء البحر أنقى وأكدر ماء يشربه السمك ولا يستسيغه الإنسان هو نافع للأول – ضار بالثاني ، والبشر موجــودون وغــير موجودين ، من حيث إن الفناء يدب فينا في كل لحظة ، فكل شيء هو كذا وليس كذا موجود ، وغير موجود [٥] ،

---

(١) انظر : موسوعة الفلسفة المختصرة (ص ٣٨٢) – ترجمها عن الإنجليزية : فؤاد كامل وآخرون – مكتبة الإنجلو سنة ١٩٨٢ م ، وانظر : فلاسفة الإغريق (ص ٢٧) ، وحكمة الغرب (ج ١ ص ٤٥) ، وقصة الفلسفة (ص ٣٧) .

(٣) تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ١٧) .

(٤) حكمة الغرب (ج ١ ص ٤٧) .

(٥) تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ١٧ – ١٨) .

والأشــياء لا تجد راحتها إلا في التغير ، لأن الأشياء الباردة تصير دافــئة ، والدافــئة تصير باردة ، والشيء الرطب يجف ، والجاف يرطــب ، وليس التغير والصيرورة عند هيراقليطس إلا تغيراً بين الأضــداد ، وهــذه الأضــداد التي تبدو في الظاهر متكثرة منفصل بعضــها عــن بعض هي في الواقع شيء واحد بعينه [١] ، وأن ما ندعــوه سكوناً هو في واقع الأمر تغير بطئ أو تغير مستور ، وأن كــل شــيء مركب يتحلل تدريجياً إذا أمعنا النظر فيه [٢] ، ولعل الغمــوض يكتــنف عباراته ولذلك فإننا نؤكد أن " هيراقليطس " هو الغــامض بحــق ، وهــذا ما جعل جارودي يقول " إن تحليل هذه الصــيرورة لا يخلو من النواقص بيد أن هذه النواقص لا تعد شيئاً يذكر إزاء ما تم اكتسابه ، ويجري تلافيه أكثر فأكثر كل سنة . [٣]

---

[١] **موسوعة الفلسفة المختصرة (ص ٣٨٢) .**

[٢] **في سبيل موسوعة فلسفية فيثاغورس (ص ٩٧ – ٩٨) للدكتور / مصطفى غالب – مكتبة الهلال – بيروت – الطبعة الأولى سنة ١٩٨١م .**

[٣] **النظرية المادية في المعرفة (ص ٦٥) روجيه جارودي .**

ثانياً : نشأة الكون :

المتواتر لدى من كتب في تاريخ الفلسفة اليونانية أن هيراقليطس ذهب إلى أن المبدأ الأول الذي أوجد المخلوقات هو النار، فهي المادة الأولية التي تتحكم في التحولات التي ينتقل بها كل مقوم إلى آخر من مقومات الكون [١] الذي وجد منذ الأزل يقول " هذا العالم الذي هو سواء بالنسبة للجميع لم يخلقه إله من الآلهة ولا واحد من البشر ، ولكنه كان دائماً كما هو اليوم وسيستمر دائماً ناراً بمعايير لاندلاعها ومعايير خمودها " [٢] ، والكائنات مهما تنوعت فقد صدرت عن أصل واحد ، ولها مرجع واحد ، وهذه النار الأبدية تستطيع أن تستبدل نفسها بأي شيء كما يستطاع استبدال النار نفسها بأي شيء ، إذاً فهناك أشياء أخرى تعتبر من مقومات الكون ، هذه المقومات هي النار والماء والأرض والتغير والصراع [٣] ، وعلى هذا فالعناصر ليست عنصراً واحداً وإنما هي عناصر ثلاثة ، ومن المعروف أنه يقول أن النار هي العنصر الأول فقط وسجل الدكتور بدوي هذا التعارض بقوله : من السهل أن نفهم هذا في مذهب هيراقليطس لأن النار إن أصيبت بالرطوبة تحولت إلى ماء ، وإذا أصيبت باليبوسة تحولت إلى تراب [٤] ، وهذا متمشي مع

---

(١) **الموسوعة الفلسفة المختصرة (ص ٣٨٢) .**

(٢) **فلاسفة الإغريق (ص ٢٨) .**

(٣) **انظر قصة الفلسفة (ص ٤١) ، والموسوعة الفلسفية (ص ٣٨٢) ، وفلاسفة الإغريق (ص ٢٨ ، ٢٩) .**

(٤) **موسوعة الفلسفة (جـ ٢ ص ٥٣٦) .**

الصـــيرورة والتغـــير اللتان يقول بهما هيراقليطس ، ولكن ما يزال الغمـــوض قائماً والاضطراب واضحاً في فلسفة هيراقليطس وآرائه حول نشأة الكون .

والغريب حقا ومما يدعو إلى الدهشة أن " لينين " يعلق على عبارة " هيراقليطس " التي يقول فيها إن هذا العالم لم يخلقه إله من الآلهـــة ولا واحـــد مـــن البشر " يقول لينين " عرض ممتاز لمبادئ الماديـــة الديالكتية " [١] ، بل والأبعد من هذا أن هيجل يقول " ليس ثمـــة اقتراح لهيراقليطس لم أتبناه في كتابي المنطق [٢] . ولكن إذا كـــان الماديون المحدثون يعجبون جداً بهيراقليطس إلى هذا الحد مع ما فيه من غموض ويتبنون أفكاره ، فإن إعجابنا يزول حين تتهافت شبه الماديين أمام النقد العلمي والديني .

تبقي هنا جزئية يسيرة قبل أن نختم بحثنا عن هيراقليطس ما هـــي حقـــيقة الـــنار التـــي يعتبرها أصل الموجودات هل هي النار المحسوسة التي نشاهدها أو ناراً أخرى ؟

معنوية يقصدها هيراقليطس ؟ لقد ذهب الباحثون إلى فريقين :

الفـــريق الأول : يذهب أنها نار حية ، وممن ذهبوا إلى هذا أرســـطو إذ أنـــه يشير إلى هيراقليطس على أنه واحد من الفلاسفة الطبيعييـــن الذيـــن يردون الموجودات إلى أصل واحد ، وعلى هذا

---

(١) **الدفاتر الفلسفية " لينين " نقلاً عن النظرية المادية للمعرفة (ص ٦٣) .**
(٢) **نفسه (ص ٦٥) .**

فالـــنار أصـــل أول وعلـــة ماديـــة للموجـــودات استناداً إلى آراء هيراقليطس ، وممن ذهبوا إلى هذا " ديورانت " الذي ذهب إلى أنه تأثر بنار الفرس . [١] ومن المعلوم أن فارس قد غزت بلاد اليونان واحتلتها .

الفـــريق الثانـــي : مـــن المحدثين يذهب إلى أن النار التي يقصـــدها هيراقلـــيطس ليست هي النار المتعارفة عندنا ، وإنما هي عبارة عن نار إلهية لطيفة للغاية أثيرية نسمة حارة عاقلة أزلية أبدية هي حياة العالم وقانونه ، وإنها هي العقل أو اللوجوس الذي يتضمن الإتزان النهائي واستمرار التغيرات بين الأضداد [٢] ، والذي نميل إلـــيه هـــو أنه كان يقصد النار الحية المتعارف عليها ، لأن التفكير اليونانـــي القديم ، لم يكن ليصل إلى الأمور الفلسفية المعقدة [٣] ، مثل اعتبارها ناراً إلهية أو هي " اللوجوس " أو العقل المسيطر على العالم ، وأن هذه الآراء قد قيلت بعد عصر هيراقليطس إلا أن خلط المؤرخيـــن هـــو الذي جعلهم يذهبون إلى أنه كان يقصد ناراً غير المـــتعارف عليها . ولقد حالت طريقة عرض هيراقليطس لمذهبه الفلسفي الغامض دون الذيوع والانتشار .

---

(١) انظر : قصة الحضارة (جـ ٦ ص٢٦٤) ، وانظر : فلاسفة الإغريق (ص٢٩) .

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ١٨ – ١٩) ، وموسوعة الفلسفة المختصرة (ص ٣٨٢) .

(٣) انظر : ربيع الفكر اليوناني (ص ١٤٦) للدكتور / عبد الرحمن بدوي – الطبعة الثالثة – مكتبة النهضة المصرية ، وانظر : حسين مروة : النزعة المادية في الفلسفة (جـ ١ ص ٣٤) .

تعقيب على النزعة المادية عند الطبيعيين الأوائل :

أولاً : إن أهـم مـا يمـيز هؤلاء الفلاسفة أنهم نظروا لى الطبـيعة وحاولوا أن يفسروا ظواهرها تفسيراً طبيعياً بحتاً دون أن يلقوا بالا لتدخل أية عوامل غامضة أو خارقة للطبيعة كما رأينا عند " طاليس" في تفسيره لظاهرة الكسوف ، في حين كان اليونانيون في ذلك يرجعون ذلك الأمر إلى غضب الآلهة على البشر غضباً مؤقتاً .

ثانـياً : الشيء الذي يسترعى الانتباه هو محاولة الطبعيين الأوائـل أن يتمثلوا الكون كلا واحداً ، فإذا أفردوا جزءاً منه لبحثه مـن ناحـية مـن النواحي ، فإنما يفعلون ذلك متعلقين بالأمل الذي يحدوهـم دائماً ، وهو أن يلقوا ضوءاً في بحوثهم على عالم الحقيقة باعتباره كلا لا جزءاً .

ثالـثاً : لعلـنا نلاحـظ أن الطبيعيين الأوائل قد كرسوا كل جهدهـم وتفكـيرهم نحو العالم الخارجي عالم الأرض وما عليها ، والسـماء وما فيها ، ولم يبحثوا في الذات أو في العقل ، ومرد ذلك أن عقولهـم في ذلك الوقت لم تكن بالنضج الكافي التي يحللون فيها الـنفس ، وأسرارها ، فعالم الطبيعة أيسر بكثير ، وأقرب منالاً من البحث في الذات .

رابعاً : نلاحظ أنهم قالوا بأصول كثيرة لقوانين علمية حديثة يسـتند علـيها الإلحاد المعاصر فنجد عند الطبيعيين الأوائل القول بالآلية ، والقول بالتطور ، كما عند " أنكسمندر " ، والقول بالتكاثف ، والـتخلخل كمـا عند " أنكسيمانس" ، والقول بالصدفة كما عند " هيراقليطس " .

خامسـاً : نجـد أن كثيراً منهم ينحي الآلهة جانباً عن خلق الكون ، وعن التدبير كما وجدنا عند هيراقليطس ، وفي الوقت نفسه نجد أن بعضاً منهم يذكر الآلهة ، ولا ينكرها ، وهذا يحتاج منا إلى حـل هـذا اللغز؟ والواقع أن الباحث قد تبين له من خلال الدراسة لديانـة اليونان القديمة وفلسفتها ، أن الطبيعيين الأوائل حين ينفون الآلهـة ، وينكرون دورها في الخلق والتدبير كانوا يقصدون الآلهة الشـائعة عندهم ، التي تأكل وتشرب وتحارب ، وتخاصم ، وتفعل الموبقـات ، ولا دور لهم في كون يعتقد الفلاسفة أنه مكون من ماء ونـار وتـراب وهواء ، وحين يتحدثون عن الآلهة وهم يبحثون في الطبـيعة فـإنهم كانوا يؤلهون مبادئهم التي وصلوا إليها بعقولهم ، ولذلك ترد العبارات على ألسنة الفلاسفة الطبيعيين تبين أن كل شيء مملـوء بالآلهة ، كما عند " طاليس " ، وأن الله أب كل شيء ، كما عـند هيراقليطس مثلاً ، ولكن حديثهم عن الآلهة لا يمكن أن يعني شـيئاً روحـياً مجـرداً ، وقد يكون من الطبيعي تماماً بالنسبة لأي فيلسوف من الطبيعيين ، وهو يتأمل في الشمس أو القمر أو النجوم ، ويصـل إلى جوهرها يعلن أنها مقدسة ، وهذا لا يعني أنه أقر بأي إحساس شخصي أو تفكر تجاهها أكثر من حب الاستطلاع ، والتأمل الفكري في هذه الأجرام [١] التي قد تتحول إلى آلهة في نظره ولكن لا عناية لها بشيء .

---

(١) **انظر في هذه الفقرة التحليل الرائع لعلاقة الفلاسفة الطبيعيين بالآلهة ، فلاسفة الإغريق (ص ١٧ ، ١٨) . وكتاب أفلاطون (ص ١٢٩) للدكتور / أحمد فؤاد الأهواني طبعة ـ دار المعارف .**

الفصل الثالث : مدرسة الفيثاغوريين .

تنسب هذه المدرسة إلى فيثاغورث الذي عاش ما بين (٥٧٢ – ٤٩٧ ق . م) في ساموس من جزيرة أيونية ، ولما ناهز الأربعين من العمر أنشأ فرقة دينية عظيمة ، وكانت فرقته مفتوحة للرجال والنساء من اليونان ، والأجانب على السواء . [١]

أهم الآراء الفلسفية لفيثاغورث ومدرسته :

يقال إن فيثاغورث هو الذي وضع لفظ " فلسفة " [٢] ، إذ قال لست حكيماً فإن الحكمة لا تضاف إلا إلى الآلهة ، وما أنا إلا فيلسوف أي محب للحكمة . [٣]

غير أن أهم الآراء على الإطلاق عند فيثاغورث هي فكرة :

الأعداد : فقد حاول أن يستعلم مستفسراً عن أحوال الوجود وما مدى حقيقته ، وهل هو اللامحدود واللامتناهي ؟ وقد تمثل الفيثاغوريين العالم من صورتين .

فالأشياء إما أن تكون أعداد أو أنها تماثل الأعداد [٤] ، واعتبرها مبادئ الموجودات [٥] ، لقد رأوا أن الكون يخضع لأمور

---

(١) انظر في سبيل موسوعة فلسفية فيثاغورث (ص ١٤) : الدكتور / مصطفى غالب .

(٢) مدخل إلى الفلسفة أزفلد كوليه (ص ٨) .

(٣) تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٢٢) .

(٤) فيثاغورث (ص ٣٥ – ٣٦) .

(٥) مدخل إلى الفلسفة (١٦٥) .

غير أن أهم الآراء على الإطلاق عند فيثاغورث هي فكرة :

الأعـداد : فقد حاول أن يستعلم مستفسراً عن أحوال الوجود ومـا مـدى حقيقـته ، وهل هو اللامحدود واللامتناهي ؟ وقد تمثل الفيثاغوريين العالم من صورتين ،

فالأشـياء إمـا أن تكون أعداد أو أنها تماثل الأعداد [١] ، واعتبرها مبادئ الموجودات [٢] ، لقد رأوا أن الكون يخضع لأمور ثلاثـة هي : التناسب ، والترتيب ، والتناسق ، وهذه الثلاثة ترتبط بـالعدد ارتـباطاً وثـيقاً ، وكمـا يقـول " يوسف كرم " ناقلاً عن " أرسـطو " : " رأوا أن هذا العالم أشبه بعالم الأعداد منه بالماء أو النار أو التراب ، وقالوا إن مبادئ الأعداد هي عناصر الموجودات أو أن الموجودات أعداد ، وأن العالم عدد ونغم " [٣] ، ونلاحظ أنهم ركـبوا الأجسام الطبيعية من الأعداد ، أي أنهم ركبوا أشياء حاصلة عـن الـثقل والخفـة من أشياء لا ثقل لها ، ولا خفة [٤] ، وهي الأعداد .

وإذا كـان لفيثاغورث وأتباعه من شيء يذكر لهم في مجال الفلسـفة فهم " قد حولوا البحث الفلسفي من الناحية المادية المحضة التـي كانت طابع التفكير عند فلاسفة أيونيا إلى الوجهة الرياضية ،

---

(١) **فيثاغورث (ص ٣٥ – ٣٦) .**

(٢) **مدخل إلى الفلسفة (١٦٥) .**

(٣) **تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٢٢) .**

(٤) **العلم الإغريقي (ج ١ ص ٥٤ – ٥٥) .**

الفصل الرابع : مدرسة الإيليين :

نشأت هذه المدرسة عقب الغزو الفارسي لبلاد آسيا الصغرى في القرن السادس قبل الميلاد .

فــر الفلاســفة من أوطانهم إلى مدينة (ايليا) على الشاطئ الغربي من جنوب إيطاليا ، وإلى هذه المدينة تنسب مدرسة الإيليين، التــي كــان لها طابع خاص ، يتمثل في الطابع العقلي ، بعد مادية الطبيعيين الأوائل ، ورياضية الفيثاغوريين .

وتذهــب هذه المدرسة في رؤيتها للكون ونشأته ، أن العالم موجود واحد ، لا كثرة فيه ولا تغير ولا حركة . (١)

أشهر فلاسفة هذه المدرسة :

أولاً : أكســانوفان : عــاش هــذا الفيلســوف مــا بيــن (٥٧٠ – ٤٨٠ ق . م) ، من أعمال أيونيا ، وتتلخص فلسفته في : نقــده للآراء المتعلقة بالآلهة والتصورات الساذجة التي كانت ترسم لهم ، وانتهي إلى القول بأنه لا يوجد إلا إله واحد ، أرفع الموجودات السماوية والأرضية ليس مركباً على هيئتنا ، ولا مفكراً مثل تفكيرنا، ولا مــتحركاً ، ولكــن ثابــت ، كله بصر ، وكله فكر ، وكله سمع يحــرك الكــل بلا قوة ولا عناء (٢) ، وهذا إن صح عن الفيلسوف

---

(١) في تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٦٥ – ٦٦) .

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ١٨) .

الإيلي يكون كلاما جديداً عن التوحيد الإلهي ، لم يسمع عند اليونان مـــن قبل ، ولكن أرسطو يقول عنه : إنه نظر إلى مجموع العالم ، وقـــال إن الأشياء جميعاً عالم واحد ، ودعا هذا العالم الله ولم يقل شيئاً واضحاً عن هذا الإله ، ولم يبين إن كان العالم واحداً من حيث الصـــورة ، أو مـــن حيث المادة ، وعلى هذا يكون حلولياً ، ويؤيد بعـــض الغربيين وجهة نظر أرسطو بحجة أن هذا هو الأقرب إلى روح الفلسفة في ذلك الوقت ، إذ أنها كانت تميل إلى وحدة الوجود ، وأن الله والعالم شيء واحد [١]

ثانياً : بارمنيدس :

لا تحـــدد المصـــادر الفلسفية سوى تاريخ واحد فقط ، وهو (٥٤٠ ق . م) ، هـــل هو تاريخ ميلاده أو وفاته لا تحدد المصادر أي شيء عن ذلك ، ويبدو أنه تاريخ ميلاده .

أهم آراؤه الفلسفية :

لـــم يلتمس بارمنيدس علة الكون ، ونشأته في ماء ولا هواء ولا نار من الأشياء الحسية التي ترى بالعين المجردة ، بل أنكر هذه الأشياء ، واعتبرها في حكم العدم ، واعترف بحقيقة واحدة لم نصل إليها من طريق الحواس ، بل بالعقل المجرد ، وهذه الآراء جديدة لم تسبقها تمهيدات مناسبة في العقلية اليونانية ، ولذلك فإن بارمنيدس لم

---

(١) **انظر : مدخل إلى الفلسفة (ص ١٥٦) ، وأيضا (ص ٢٥٢) ، وانظر : تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ١٨) .**

يستطع أن يواصل دعم فكرته المجردة من الكون ، فانكفأ راجعاً إلى المادة يلتمس عندها القالب الذي يصب فيها فكرته ، واضطر أن يتبع الظواهـــر المحسوســـة (وقال إن الأشياء واحد في العقل كثير في الحواس) [١]

وحسب بارمنيدس أنه تجاوز عالم الظواهر ، وعالم الأعداد والأشكال وبلغ إلى الموضوع الأول للعقل ، وهو الوجود ، وحسبه كذلك أنه ارتفع إلى مبادئ الوجود ومبادئ العقل بقوة لم يسبق إليها فأنشـــأ فلســـفة اليمتافيزيقيا ، واستحق أن يدعوه أفلاطون بارمنيدس الكبير. [٢]

ثالثاً : زينون الإيلي (٤٩٠ – ٤٣٠ ق . م) :

ولـــد في إيليا وتتلمذ على يد بارمنيدس واعتنق مذهبه ودافع عنه بحجج كثيرة وتعتبر أهم آرائه الفلسفية هي :

إقامـــة الحجج على الكثرة وبطلانها ، وإثبات أن العالم واحد لا كثرة فيه ولا تعدد ، وأقام على ذلك حججاً أربعة :

الأول : أن الكـــثرة لا تخلـــو إمـــا أن تكون كثرة ممتدة في المكـــان أو كـــثرة أعداد غير ممتدة ، ولا متجزئة ، وكثرة المقدار باطلة ، لأن المقدار قابل للقسمة ، فيمكن قسمة أي مقدار إلى جزئين ثم إلى جزئين وهكذا دون أن تنتهي القسمة إلى آحاد غير متجزئة .

---

(١) **تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٢٩) .**

(٢) **قصة الفلسفة (ص ٢٩ – ٣٠) ، وفلاسفة الإغريق (ص ٣٦ – ٣٧) .**

الثانـــي : وهي إن كانت حقيقية كانت معينة ، وهذه الآحاد منفصلة وإلا اختلط بعضها مع بعض ، وهي مفصولة حتماً بأوساط، وهذه الأوساط بأوساط ،وهكذا إلى مالا نهاية مما يناقض الفروض.

الثالـــث : إذا كانت الكثرة حقيقة كان كل واحد من آحادها يشغل مكانـــاً حقيقياً ، والمكان يجب أن يكون في مكان ، وهكذا إلى غير نهاية .

الـــرابع : إذا كانـــت الكـــثرة حقيقية وجب أن يقابل النسبة العدديـــة بين كيلة الذرة وحبة الذرة ، وجزء على عشرة آلاف من الحبة نفس النسبة بين الأصوات الحادثة من سقوطها إلى الأرض ، ولكن الواقع غير ذلك ، وإذن ليست الكثرة حقيقية . [١]

---

[١] **تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٣١) ، وقصة الفلفة (ص ٣٢ ـ ٣٣) .**

الفصل الخامس

{الطبيعيون المتأخرون}

تتكون هذه المدرسة من ثلاثة فلاسفة معاصرين قالوا بأن أصل الأشياء ليس واحد ، وإنما مواد متعددة نشأت من أصول ثابتة، هذه الأصول مادية وليست خارجة عن العالم ، وإن اختلفوا فيما بينهم في تصور هذه الأصول وطرق انفصالها وانضمامها ، وصدور الكون عنها . [١] ، وأول هؤلاء الفلاسفة :

أنبادوقليس :

نشأ في مدينة " أكراجاس " بصقلية ، في ما بين (٤٩٠ – ٤٣٠ ق . م) ، وبلغ مرحلة النضج في النصف الأول من القرن الخامس ، وكان طبيباً ، واشتغل بالسياسة وكان من أنصار الديمقراطية ، ويقال إنه كانت له نزعات صوفية إلى حد أنه ادعى الألوهية وزعم أنه كان فيما مضى صبياً ، وفتاة ، وشجرة ، وطائراً ، وسمكة بكماء في البحر " [٢] .

---

(١) انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٣٥) .

(٢) انظر : موسوعة الفلسفة المختصرة (ص ٦٩) ، وانظر : في حياة أنبادوقليس حكمة الغرب (جـ ١ ص ٥٦ – ٥٧) ، وتاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٣٥) .

آراؤه الفلسفية :

اتـــبع " أنبادوقليس " ما قبله من آراء حول نشأة الكون فقال بآراء الطبيعيين الأوائل ، ورد الكون إلى الماء ، والهواء ،والنار إلا أنـــه زاد عنصـــراً رابعـــاً هـــو التراب ، ويعتبر هو أول من قال بالعناصــــر الأربعة مجتمعين [١] ، وقد اختار هذه العناصر بالذات لأنـــه تحقـــق أنها مادية عن طريق الملاحظة ، وقد أطلق على هذه العناصر اسم " الجذور " ، وذهب إلى أن عمليتي الصيرورة ،والفناء الظاهرتيـــن إنمـــا تحدثان نتيجة لافتراج وانفصال هذه الجذور [٢] ،وذهب إلى أن هذه العناصر الأربعة على السواء ليس بينها أول ولا ثان ، لا تتكون ،ولا تفسد ، فلا يخرج بعضها من بعض ، ولا يعود بعضـــها إلـــى بعض ، وإنما لكل منها كيفية خاصة ، الحار للنار ، والـــبارد للهـــواء ، والرطـــب للمـــاء واليابس للتراب [٣] ، وهذه العناصــــر اعتـــبرها بسيطة لا يمكن تحليلها إلى أبسط منها ، أورد أحدها إلى الآخر [٤] ، وهذه العناصر مجتمعة يتكون منها العالم ، ولكن السؤال كيف تكون العالم من هذه المواد ؟ .

---

(١) **ربيع الفكر اليوناني (ص ١٤٥) . وانظر : مقالة تشارلس سنجر الإغريق والكشف العلمي (ص ٨٤ – ٨٥) . ضمن تاريخ العالم (جـ ٣) . .**

(٢) **حكمة الغرب (جـ ١ ص ٥٧) ، والموسوعة الفلسفية المختصرة (ص ٦٩).**

(٣) **تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٣٦) .**

(٤) **انظر مدخل إلى الفلسفة (ص ١٥٧) .**

(نشأة الكون)

يفـــترض أنبا دوقليس قوتين كبيرتين هما المحبة والغلبة أ الكراهـــية ليفسر بهما الأشياء وكيفية وجودها في العالم [١] ، وما زال الغموض يكتنف الطريقة التي يصدر العالم بسببها عن العناصر الأربعـــة وهـــنا يطـــرح الســـؤال بكيفية أخرى ما هي تلك المحبة والكراهية اللتان ينشأ عنهما الموجودات ؟ .

لقد تصور " أنبادوقليس " شيئاً شبيهاً بالكرة ، وقال إن المحبة تـــتخلل الجذور وتمزجها بعضها ببعض ثم تدخل الكراهية أو الكفاح شـــيئاً فشـــيئاً تلـــك الكـــرة فينتج عن ذلك أن تصير الغلبة للتكثر . والاضـــطراب فـــيمر العالم بدور كراهية ثم تتخلله المحبة ، وتعمل على إصلاحه فتارة ترجع الكثرة إلى الوحدة ، وهي الكرة الأصلية فتـــتحد بهـــا العناصـــر جميعاً ، وطوراً تتفوق الوحدة إلى الكثرة ، وتتعاقـــب الأدوار كـــل فيها كما كان بالتمام إلى مالا نهاية – تسود المحـــبة ثـــم يدخل الكفاح وازدياده شيئاً فشيئاً فغلبة الكفاح ، فدخول المحبة ، وهكذا دواليك . [٢]

فالحـــب والكراهـــية أو التجاذب ، والتنافر هما علة التغير ، والحـــركة والعناصر تمتزج تحت تأثيرهما ، إذن فالوظيفة الوحيدة

---

(١) **مدخل إلى الفلسفة (ص ١٥٧) .**

(٢) **تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٣٦) ، مختصر الموسوعة الفلسفية (ص ٦٩) ، وفلاسفة الإغريق (ص ٣٩) .**

لهذيـــن المبدأين هما الجمع ، والتفريق [١] ، أما عن الدورات التي تنـــتج عن التجاذب ، والتنافر بين المحبة ، والغلبة أو الكراهية فهي أربع دورات ، لابد أن تتعاقب كل منها في أثر الأخرى .

الأولى : الفترة التي يكون فيها الحب سامياً والنضال خارج المجـــال فـــي هذه الفترة تكون كل العناصر مندمجة معاً ولا يمكن تمييز شيئ من آخر .

الثانـــية : الفترة التي يبدأ فيها النضال بالفعل في غزوه في هـــذه الفـــترة تنفصل العناصر ، وبالحب الذي لا يزال مستمراً في نشـــاطه تتجمع في تجمعات مختلفة من بينها بعض تجمعات غريبة جداً مثل رؤوس بلا أعناق ورجال لها رؤوس ثيران .

الثالـــثة : الفترة التي تكون فيها السيادة للنضال – العناصر الأربعـــة واضحة فيها ومنفصلة ولا شيء يمكن أن يكون له وجود سوى النار والهواء والماء والطين – والحب خارج المجال .

الرابعة : الفترة التي يبدأ فيها الحب بدوره بالغزو وفيها تأخذ العناصـــر مرة أخرى في الإندماج مع بعضها البعض في إتحادات مختلفة وواضح أن نوع العالم الذي نعرفه يمكن أن يكون له وجود فقط في الفترتين الثانية والرابعة . [٢]

ولكـــن بالرغم من التصور الخيالي لهذا الفيلسوف ، فإنه لم

---

(١) **حكمة الغرب (جـ ١ ص ٥٨) ، وفلاسفة الإغريق (ص ٤٠) .**

(٢) **فلاسفة الإغريق (ص ٤١) ، وتاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٣٧) .**

يحـدد لـنا مـدة كل دورة من هذه الدورات ، وأيضا فإن الوجود الحقيقـي لا يوجـد في جميع الدورات بل يوجد في الدورين الثاني والـرابع فحسب على ما ذهب أنبادوقليس ، وهما دور الانتقال من المحبة إلى الكراهية ، والانتقال بعد ذلك من الكراهية إلى المحبة .

أمـا الوجـودان الآخران وهما المحبة المطلقة ، والكراهية المطلقة ، فليس فيهما وجود بالمعنى الحقيقي . (١)

ويـبدو أن الغمـوض يكتنف هذا الفيلسوف في معظم آرائه ونتسـائل هـنا مـا هي حقيقة المحبة ، والكراهية اللتان فرضهما أنبادوقليس ؟

تختلف الآراء حول كنههما ، وهل هما حسيان أو معنويان ؟

فيذهـب " أدوين بيفان " وبرتر اند رسل من المعاصرين ، وأرسـطو مـن القدمـاء إلـى أنهما علتان ماديتان ، وحجتهم أن أنبادوقلـيس يتحدث في بعض الأحيان عنهما كأنهما نوع من المادة السيالة أو عنصران زائدان على العناصر الأربعة ، ويدل على ذلك أنه لم يصل إلى تصور شيء مادي (٢) ، وهذان المبدآن بالذات كان لهما عنده وزنهما وطولهما وعرضهما . (٣)

---

(١) **انظر ربيع الفكر اليوناني (ص ١٤٧) ، وفلاسفة الإغريق (ص ٤٠) .**

(٢) **انظر : الفلاسفة اليونان ما وفقوا فيه وما عجزوا عنه بقلم أدوين بيفان ، ضمن تاريخ العالم (ج ٣ ص ٦٣) ، وانظر : حكمة الغرب (ج ١ ص ٥٨) ، وانظر : في تصوير رأي أرسطو ربيع الفكر اليوناني (ص ١٤٧) .**

(٣) **انظر : فلاسفة الإغريق (ص ٣٩ ـ ٤٢) .**

بيـــنما ذهـــب أزفلـــد كوليه في المدخل إلى الفلسفة إلى أن أنبادوقلـــيس يفترض قوتين كبيرتين غير ماديتين هما المحبة والغلبة ليفسر بهما الأشياء . (١)

ونظـــراً للتضارب الشديد بين الرأيين ، فالباحث يرجع إلى البيئة اليونانية التي نشأ فيها هذا الفيلسوف ، ويرى كما رأى أرسطو وغـــيره أن المبدأين اللذين قال بهما أنبادوقليس ماديان خصوصاً إذا لاحظـــنا كمـــا يقـــول الدكتور بدوي " أن درجة التجريد لم تكن قد ارتفعـــت كثيراً عند المفكرين اليونانيين بدرجة تسمح لهم أن يجعلوا هذيـــن المبدأيـــن اللذين هما مبدأ الحركة والتغير في الوجود مبدأين عقليين أو مبدأين عاليين على المادة (٢) ، وهذا بالفعل ما يتمشى مع روح العقلية اليونانية في ذلك الوقت المبكر من تاريخ الفكر الفلسفي.

٢ – ديمقريطس :

ثاني الفلاسفة من الطبيعيين المتأخرين ، عاش هذا الفيلسوف بيـــن (٤٧٠ – ٤٠٠ ق . م) ، ولد في أبديرا في تراقية ، وسافر وانتقل كثيراً بين البلاد ، وقابل العلماء ،واستفاد منهم خاصة في علم الهندســـة إلـــى درجـــة أنـــه يقول " إنه لم يتفوق أحد عليه في علم الهندسة، ولا المهندسون أنفسهم ، وأنه لم يقم أحد بمثل ما قام به من رحلات " . (٣)

---

(١) **مدخل إلى الفلسفة (ص ١٥٧) .**

(٢) **ربيع الفكر اليوناني ت(ص ١٤٦) .**

(٣) **تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٤٩) ، وانظر : فلاسفة الإغريق (ص ١٨٠) .**

آراؤه الفلسفية :

ينسب إلى هذا الفيلسوف المذهب الذري ، ويرى مؤرخو الفلسفة اليونانية أن ديمقريطس أخذ أصل المذهب الذري من " ليوسيوس " و لكنه طوره وأقام دعائمه ، والبعض الآخر يرى أن آراء ليوسيوس اختلطت بآراء ديمقريطس ، فالحديث عن أحدهما حديث عن الآخر . (١)

ولكننا سنأخذ بالرأي الأشهر وهو نسبة هذا المذهب إلى ديمقريطس .

حقيقة المذهب الذري :

المذهب الذري يرى أن العالم مكون من ذرات متجانسة غير متناهية وغير محسوسة مبالغين المجردة لأنها غاية في الصغر ، ولكنها متحدة في الحقيقة .

والتجربة تدل على وجود ذرات مادية غاية في الدقة كالتي تتطاير في أشعة الشمس وكالذرات الملونة التي تذوب في الماء ، والذرات التي تتصاعد مع الدخان أو الهواء (٢) ، وهذه الذرات أو الجواهر المفردة هي التي تتكون من مجموعها مادة الكون ، وهي لانهائية العدد وليست عناصر أربعة ، وإنما هي عنصر واحد

---

(١) ربيع الفكر اليوناني (ص ١٥١) .

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٣٨) ، والإغريق والكشف العلمي (ص ٨١) ، وقصة الفلسفة (ص ٥٠) .

متجانس ، وبينها وبين بعضها خلاء وهذا الخلاء في داخل الذرات نفسها ، ويستدل على أن الذرات فيها خلاء أن الضوء يخترق الأجسام الشفافة ، وأن الحرارة تخترق جميع الأجسام تقريباً [١] ، وهذه الذرات لا تختلف إلا في الترتيب والحجم ، من هنا فالشيء الواحد قد يظهر ثقيلاً بالنسبة إلى شخص خفيفاً بالنسبة إلى آخر،ويرى ديمقريطس أن للمادة كما للجواهر الأفراد التي تتألف منها المادة خصائص أساسية معينة تكون ماهيتها ، وهي الصفات الأولية [٢] ، وهذه الصفات نسبية وليست مطلقة ، وأهم صفة من الصفات الأولية هي الشكل – وتعتبر هي الصفة الأساسية ، ولذلك فإن الذريين يحاولون أحياناً أن يرجعوا إلى هذه الصفة بقية الصفات . [٣]

وبعد هذا العرض يأتي السؤال الهام ، وهو كيف نشأ العالم عن هذه الذرات ؟

يقول ديمقريطس أن الذرات في الأساس جسيمات صغيرة ليست لها نوعية معينة أما الفراغ فهو المكان الذي نتحرك فيه مدى الأزل والأبد من أعلى إلى أسفل وهي في حركتها . أما أن تتشابك

---

(١) انظر : ربيع الفكر اليوناني (ص ١٥٢) . وتاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٣٨) ، والنزعات المادية في الفلسفة (ج ١ ص ٣٤) – الطبعة الرابعة سنة ١٩٨١م .

(٢) انظر : كمذهب الذرة عند المسلمين (ص ٨) : دبينيس – ترجمه عن الألمانية د / محمد عبد الهادي أبو ريدة – النهضة – سنة ١٩٤٦ م .

(٣) ربيع الفكر اليوناني (ص ١٥٣) .

بشكل ما أو تتصادم بحيث يدفع بعضها بعضاً فتتفارق ثم تتلاقى ن جديد في التركيبات ، وبذلك تنتج الأجسام المعقدة الأخرى كما نـج أجسامنا ومالها من حالات وإحساسات [١] ، ومفاد رأي ديمقريط ن أن الـذرات كانـت متحركة في الخلاء بحركة أزلية أبدية ، و ذه الحركة تتحرك إلى أعلى وأسفل ، وفي أثناء تحركها تصطدم ببعض الـذرات فتـتكون حركة ثانية ، هي حركة دائرية ، أو على شـل دوامـة ، وهذه الحركة الدائرية هي التي حدث عنها الوجود [٢] ، وحركة الذرات مستمرة ،وهي تعصف بالجواهر منذ القدم وتوجهها إلـى كل صوب في الخلاء الواسع فتتقابل على أنحاء لا تحصى ، وتتشـابك بتنوعاتها ، وتتألف في مجاميع هي الموجودات ، أما عن كيف تتكون منها الموجودات المختلفة ؟

فـإن ديمقـريطس يـرجع ذلك إلى الضرورة التي رسمت مصائر كافة الأشياء ، ما كان منها وما هو كائن وما سيكون [٣] ، وبهـذه العبارات يكون ديمقريطس قد أعلن ولأول مرة مذهب عدم فـناء المادة ، ومذهب سيادة القانون على كافة ما في الكون [٤] ، وهذه الآراء هي التي سيبني عليها الماديون أساس نظرياتهم في قدم العالم .

---

(١) **ديمقريطس في مقتطفاته وشهادات الماضي – موسكو ١٩٣٥ – نقلاً عن النزعات المادية في الفلسفة (جـ ١ ص ٧٠٨ – ٧٠٩) .**

(٢) **ربيع الفكر اليوناني (ص ١٥٤)**

(٣) **النزعات المادية في الفلسفة (جـ ١ ص ٧٠٨ – ٧٠٩) .**

(٤) **العلم الإغريقي (جـ ١ ص ٧٧) .**

النفس عند ديمقريطس :

إذا ما تساءلنا كيف ينشأ الإنسان والكائنات الحية من الذرات المادية ؟ فإن ديمقريطس يبين أن الإنسان وغيره من الكائنات الحية ذرات من نوع خاص هي الذرات اللطيفة المستديرة ، وهذه الذرات توجد في الجسم الإنساني في كل مكان إلا أنها تتجمع في أماكن معينة تجمعاً كبيراً دون الأماكن الأخرى ، ففي العقل توجد أرقى أنواع الذرات ، وعن هذا الطريق ينشأ التفكير ، وفي القلب نوع أدنى من الذرات ، وعن هذا الطريق ينشأ الخيال – كما يوجد نوع ثالث في الكبد ومنه تنشأ العواطف ، والتفكير راجع حتماً إلى الذرات فالتصورات التي تأتي من الخارج تأتي على شكل ذرات [١] ، وهنا نلاحظ أنه فسر النفس وظواهرها تفسيراً مادياً صرفاً ، ولم يقل بشيء روحي من شأنه أن يحدث هذا التغير في الأشياء . [٢]

تقويم مذهب ديمقريطس :

إن الباحث ليلاحظ أن ديمقريطس قد درس المذاهب الفلسفية قبلة واستفاد منها ، وأنه بعد أن أحاط بها خرج بنظريته في الذرات وهذه النظرية تعتبر في نظر البعض " أهم نظرية في الفلسفة

---

(١) ربيع الفكر اليوناني (ص ١٥٤ – ١٥٥) ، وفلاسفة الإغريق (ص ١٨٢ – ١٨٣) .

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٤٠) ، وربيع الفكر اليوناني (ص ١٥٥) ، وفلاسفة الإغريق (صنم ١٨٢) ، وانظر موسوعة الفلسفة (ص ٥٠٩) .

الطبيعية القديمة عند اليونان إن لم تكن في العصر القديم كله ، لأن هذا المذهب أول من وضع حداً فاصلاً بين العالم الخارجي الذي لا يمكـن وصفه إلا وصفاً كمياً ، والعالم الداخلي الذي لا يمكن وصفه إلا بلغـة الكـيف [١] فيغالـي البعض الآخر حين يقرر أن نظرية ديمقريطس في الذرة هي الأساس الذي قام عليه العلم التجريبي ، فقد بعثـت هـذه الـنظرية من جديد في الأزمنة الحديثة وتشهد درجة التشابه بين نظرية ديمقريطس ، والنظريات الحديثة ، على أنه يحق لهذا التكهن القديم أن يوصف بأنه تنبؤ رائع بالنتائج التي وصل إليها العلـم التجريبـي [٢] ، ومـن وجهة نظرنا أن نظرية ديمقريطس يعترض عليها بكثير من الإعتراضات منها :

أولاً : أنـه ذهـب إلـى أن العالم تكون من ذرات غاية في الصغر لا تتجزأ ، ولكنه قال إنها تختلف في الحجم والمقدار ، وهذا تـناقض واضـطراب كبيران ، لأن الكبير حجماً يمكن إنقسامه إلى جزئين ، الجزء الصغير والزيادة التي كان بها أكبر من غيره .

ثانياً : أنه ذهب إلى أن الذرات لاثقل لها ، وإذا كانت كذلك فكيف تتحرك وما علة هذه الحركة منتظمة أو مضطربة ، ولا يرفع عنه القول بالاضطراب والتناقض قوله إن الحركة أزلية أبدية . [٣]

---

(١) **مدخل إلى الفلسفة (ص ٦٣) .**

(٢) **العلم الإغريقي (جـ ١ ص ٧٤) .**

(٣) **انظر في تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٧٧ – ٧٨) .**

أنكسا غوراس :

هو ثالث الفلاسفة الطبيعيين المتأخرين ولد في أقلازومين من أزمير من أعمال أيونية ، وعاش في أثينا من حوالي (٤٨٠ ق . م) حتى طرد منها حوالي (٤٥٠ ق . م) ، وذلك أن أثينا بعد أن انتصرت على الفرس استقدم " بركليس " الفلاسفة والأدباء ليجعل منها مركز اليونان في الثقافة ، والفن ، فلما دخلها أنكساغوراس أدخل معه الفلسفة أثينا لأول مرة ، وحين جهر بآرائه الفلسفية والفلكية اتهم بالإلحاد ، وذلك لأن أثينا لم تكن في ذلك الوقت لتقبل وجود فيلسوف أيوني فيها ، وما كان هو ليقبل أن يخضع آراءه الفلكية لرجال اللاهوت [١] ، الذين سيطرت أفكارهم على أثينا في ذلك الوقت .

آراؤه الفلسفية :

يرى هذا الفيلسوف أن جميع العناصر الغير محدودة كانت ممتزجة معاً وهي قابلة للانقسام إلى مالا نهاية ، وأن أي جزء من تلك العناصر فإنه يحتوي على عناصر كل شيء آخر ، وأن الكل في الكل وهذه الأجزاء تجتمع في كل جسم بمقادير متفاوتة فيتحقق بهذا التفاوت الكون والفساد ، ويتعين لكل جسم نوعه بالطبيعة الغالبة في بحيث يكون كل جسم عالماً لا متناهياً يحوي الطبائع على

---

(١) **انظر : العلم الإغريقي (ص ٧٤) ، وانظر : تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٤١) ، والموسوعة الفلسفية المختصرة (ص ٧٢) ، وفلاسفة الإغريق (ص ٤٣) ، وانظر أخبار العالم بأخبار الحكماء (ص ٤٤) للقفطي .**

اختلافها ، كلا منها بمقدار فتختلف الظواهر والأسماء ويضرب لذلك مــثلاً : الخلاف بين النار والطين وبين قطعة الذهب وحبة الحنطة مــرده إلى أن : النار فيها مزيد من عنصر النار أكثر من الطين ، وأن الذهــب فيه مزيد من الذهب عما هو موجود في الحنطة ، ومع ذلك فهناك جانب من النار في الطين ، وجانب من الطين في النار ، وجانــب مــن الحنطة في الذهب ، وجانب من الذهب في الحنطة ، وهكــذا في سائر العناصر ، وإلا كيف يتحول الجزء الذي تأكله إلى عظــام ولحــم ودم وأعصــاب ، وجلد ، وشعر وغيرها من أجزاء الجسم ما لم تحتو جزئيات القمح في صورة خفية على كافة الصفات المتــنوعة التــي تظهــر فــيما بعد في الأجزاء العديدة التي تكون الجسم . [١]

بهذه النظرة حاول أنكساغوراس أن يبيني فلسفته المادية وأن يبيــن أن المادة ما هي إلا سلسلة متعاقبة من عناصر متداخلة قابلة للإنقسام إلى مالا نهاية .

---

(١) **انظر : العلم الإغريقي (ص ٧٣) ، وتاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٤١) ، والموسوعة الفلسفية المختصرة (٧٢) ، وفلاسفة الإغريق (ص ٤٤) .**

(نشأة الكون)

وهـنا يأتي السؤال الذي نكرره مع كل فيلسوف بعد عرض آرائه الفلسفية عن الكون كيف ينشأ الكون من هذه العناصر ؟

يفـترض أنكساغوراس سبب خارجي يطلق عليه العقل الذي هـو ألطف الأشياء جميعها ، وسيد نفسه ولا يختلط بشئ بل وحدة قـائم بذاته لأنه لو لم يكن قائماً بذاته ، وكان مختلطاً بأي شيء آخر لاشترك في كل الأشياء ولو اشترك فإن الأشياء المختلطة ستعوقه ، ومن ثم فهو قائم وحده بذاته لأنه أرق الأشياء ،وأنقاها ، وعلى علم تام بكل شيء ، ويتمتع بأعظم قوة ، وللعقل سلطان على كل شيء . كبـيراً كان أو صغيراً مما تدب فيه الحياة ، والعقل له سلطان على الدورة كلها حتى إنه يبدأ يدور في البداية ، وعن طريق هذا الدوران انفصـلت الأجرام السماوية من المركز الأرضي بالحركة الأولى ، وترتبت الأشياء كل في مكانه الخفيف إلى أعلى والثقيل إلى أسفل ، وكلما كانت الأشياء في حركة وانفصال كان الدوران علة في زيادة انفصـالها أكثر فأكثر [١] ، وهذه الآراء لا تخرج في مجلسها عن آراء الطبيعيين الآليين ، فنظريته عن نشأة الكون نظرية آلية ، حتى

---

(١) الاعتماد الأكبر في عرض تلك المشكلة كان على مقتطفات من أول كتاب الأنكسا غوراس وهذه المقتطفات منقولة عن كتاب جون بيرنت الفلسفة الإغريقية القديمة – طبعة لندن (ص ٢٥٨) – نقلاً عن فلاسفة الإغريق (ص ٤٦ – ٤٧) ، وانظر : تاريخ الفلسفة اليونانية (٤٢ – ٤٣) ، وانظر العلم الإغريقي (ص ٧٢ – ٧٣) ، ومن الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية (ص ٨٧) والموسوعة الفلسفية المختصرة (٧٢) .

إنه ليعلل رقي الحيوان على النبات بأنه طليق غير مرتبط بالأرض ورقي الإنسان على الحيوان بأنه له يدان ، وأن اليد خير الآلات ونموذجها ، ولا تعارض بين وصفنا مذهبه بالآلية ، لأن أنكساغوراس لم يضف للعقل أي أثر بالرغم من أنه قال به علة محركة منظمة . [١]

ولم يحاول أن يلجأ إلى العقل إلا في حالة عجزه عن مواصلة البحث في نشأة العقل ، فهو كفرض من الفروض اللفظية لا أكثر من ذلك . [٢]

هل العقل الذي قال به أنكساغوراس عقلاً مادياً أو جسداً روحياً؟ كما اختلفت الآراء حول نار هرقليطس ومبدأ أنبادوقليس اختلفت الآراء حول عقل أنكساغوراس .

فسقراط وأرسطو يذهبان إلى أنه مبدأ روحي ، وهذا يفسر مدحهما وتقديرهما له ، وقد وردت عبارة عن أرسطو في شأن أنسكاغوراس ، يقول عنه إنه أشبه بشخص في كامل وعيه وسط حشد من السكارى . [٣]

وممن ذهب إلى أن انكساغوراس في قوله بالعقل كان يقول

---

(١) **انظر : حكمة الغرب (جـ ١ ص ٩٦) ، وتاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٤٣) .**

(٢) **انظر : الموسوعة الفلسفية المختصرة (ص ٢٣٨ – ٢٣٩) ، وفلاسفة الإغريق (ص ٤٥) .**

(٣) **انظر : فلاسفة الإغريق (ص ٤٥) ، ومقال فلاسفة اليونان ما وفقوا فيه وما عجزا عنه (ص ٦٣) ضمن تاريخ العالم (جـ ٣) .**

بشيء غير مادي أزقلدكوليه يقول : " إن أنكساغوراس يرجع جميع الأشياء إلى مبدأين أساسيين مستقلين هما المادة التي يتصورها على أنهـا نوع من الهواء لها صورة له• ومؤلفة من عدد من العناصر التـي لا حصر لها ، ثم العقل يدبر المادة ، وينظمها ، فالعقل عنده هـو مـبدأ النظام أو التدبير والحركة وصفات العقل الأساسية هي تفوقـه بذاته ، وبساطته واستقلاله في وجوده وعلمه بنفسه ولذا فإن أنكساغوراس أظهر فيلسوف بين قدماء الفلاسفة الذين سبقوا سقراط وضع فاصلاً بين العقل والمادة . (١)

وأزقلـد كولـيه يضع المقابلة بين العقل واللامحسوس وبين المادة المحسوسة ، ويبين أن أنكساغوراس جعل العقل هو المحرك للمادة .

ولكـن الباحـث يرى أن هذا الفيلسوف مضطرب في تحديد العقـل فهـو ينظر إليه مرة على أنه جوهر (٢) ، ومرة أخرى لا يستطيع أن يواصل السير مع افتراضه فيتقهقر إلى الوراء ، ويقول بمـا يقول به الطبيعيون حيث قال إن العقل حرك المزاج الأول في إحدى نقطه ، وهذه الحركة أخذت تفعل فعلها في الكائنات فانفصلت بعضها عن بعض ، فكأنه فسر الحركة وجعلها تفعل فعلاً آليا محضاً بدون تدخل للعقل . (٣)

---

(١) **انظر بتصرف : مدخل إلى الفلسفة (ص ١٥٧ ، ١٨٨) .**

(٢) **فلاسفة الإغريق (ص ٤٥) .**

(٣) **د / عوض الله حجازي في تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٨٠) .**

وعلـــى كـــل الأحـــوال فيعتبر هذا الفيلسوف قد حاول أول محاولـــة في الفلسفة اليونانية القديمة حين انتقل من التفسير المادي الخـــالص إلى التفسير الثنائي الذي يجمع بين المادة واللا مادة ، هذا إن ســـلمنا جدلاً أن عقله الذي ذهب إليه ليس بمادي ، وإن كنا نرى خلاف ذلك نظراً لبيئته التي نشأ فيها واضطرابه في تحديد مفهومه لمبدئه .

هل قال بالألوهية :

الـــروايات قلـــيلة في هذا الشأن فقد اتهم هذا الفيلسوف بأنه ملحـــد ، وأن العقل الذي تصوره لا يمكن أن يكون إلهاً ، والبعض يذهـــب إلى أنه تصور الآلهة " على أنها شيء مادي ، ونظراً لعدم ثبوت الأدلة فإن الحكم عليه يكون صعباً ، وإن كان من وجهة نظرنا لا يختلف عمن سبقوه من فلاسفة اليونان الطبيعيين .

وأنـــه ذهـــب فـــي تفســـير الظواهر التي كانت تنسب إلى الأساطير والآلهة مذهباً طبيعيا وليس دينياً . [١]

---

[١] **انظر : ربيع الفكر اليوناني (ص ١٦١) ، و موسوعة الفلسفة (جـ ١ ص ٣٢٨) .**

الفصل السادس

سقراط وفلسفته (٤٦٩ - ٣٩٩ ق . م)[1]

فلسفته :

انـــتهج سقراط منهجاً جديداً في البحث وفي الفلسفة وسوف نخص كل جانب من هذين الجانبين بالحديث .

أ - منـهجه في البحث :

فـــي مواجهة السوفسطائية كانت له مرحلتان تدعيان " التهكم والتوليد " في الأولى كان يتصنع الجهل ويتظاهر بالتسليم لمجادليه ، ولكـــنه بعد ذلك يلقي الأسئلة ويعرض الشكوك شأن من يطلب العلم والاســتفادة بحيث ينتقل من أقوال خصومه إلى أقوال لازمة منها ،

---

(١) ولد سقراط في أثينا عام (٤٦٩ ق . م) من أم قابلة ووالده يحترف صناعة التماثيل التي احترفها سقراط ، ولكنه مال إلى دراسة الحكمة التي تأثر بها من الفيثاغوريين ، وقد استفاد من الناحية العقلية من خلال مناهج السوفسطائيين ، ولكنه لم يأخذ بشكوكهم ، ونظر في الطبيعيات ، والرياضيات ، ولكنه لم يطل النظر فيها لأنها بعيدة عن العمل من ناحية ومن ناحية أخرى لأن الطبيعيين يتناقضون فيما بينهم ، وأخذ نفسه على المجاهدة والرياضة ، وقد خرج على أثينا يجادل السوفسطائيين ، ويحاورهم ، وكان يؤثر التحدث إلى الشباب لكي يصلح ما أفسده السوفسطائيون ، ولما ذاع صيته اتهم بالإلحاد والخروج على الآلهة في أثينا ، وقد تم إعدامه بناء على ما وجه إليه من تهم وهي إنكار آلهة المدينة ، والدعوة إلى آلهة جديدة ، وإفساد عقول الشباب ، وكانت وفاته حوالي عام (٣٩٩ ق . م) . انظر في ترجمته تاريخ الفلسفة اليونانية وقصة الفلسفة اليونانية وفي تاريخ الفلسفة اليونانية .

ولكـــنهم لا يسلمون بها فيوقعهم في التناقض ويحملهم على الإقر بالجهل وعلى هذا يمكن أن نعرف التهكم السقراطي بأنه السؤال مع تصـــنع الجهـــل أو هو تجاهل العالم ، والغرض من التهكم تخليص العقول من العلم الزائف وإعداده لقبول الحق .

وبعـــد ذلـــك ينتقل إلى المرحلة الثانية وهي (التوليد) أي الحصـــول علـــى الحقـــيقة مـــن خـــلال تعلـــيمه لمحدثيه الأسئلة والاعتراضـــات مرتـــبة ترتيباً منطقياً فيصلون إلى الحقيقة وهم لا يشعرون ويحسبونهم أنهم مكتشفوها بأنفسهم – فالتوليد هو استخراج الحق من النفس .

ب – فلسفته :

المـــتأمل فيما تركه سقراط من تراث فلسفي يجد أن فلسفته تكاد تنحصر في نظريتين :

١ – نظرية المعرفة .   ٢ – نظرية الفضيلة .

أمـــا نظـــرية المعرفة فهي كالمقدمة بالنسبة لنظريته الثانية الفضيلة التي يعتبرها سقراط أنها الأولى بالبحث ولها مكان الصدارة من غيرها .

فقـــد كـــان السوفسطائيون يعتمدون على الحس في معارفهم ويقولـــون إن الإحســـاس هو المصدر الوحيد للمعرفة ، ولما كانت المحســـات متغـــيرة مـــتحولة فتكون المعارف نسبية والشخص هو مقياس الحقيقة ، ولكن سقراط رأي أن لكل شيء طبيعة وماهية هي

حقيقــته يكشــفها العقــل وراء المحسات الجزئية ، ويعبر عن هذه الماهــية بالحد ، ورأى أن غاية العلم هو إدراك هذه المعاني الكلية المشتركة .

وقد استعان سقراط على كشف هذه المهايا الكلية بالاستقراء وتتــبع الأفراد للوصول إلى المعنى الكلي والماهية الكلية ، وتوصل إلـــى ذلك بالاستقراء وكان كل همه تحديد الألفاظ التي يدور حولها الحديــث بخــلاف السوفسطائيين الذين كانوا يعتمدون على الألفاظ المشتركة إذ أنها تعينهم على التمويه والتضليل .

والاســتقراء الســقراطي هــو : عبارة عن تتبع الجزئيات للوصــول إلـــى الماهية الكلية والحقيقة العامة ، وذلك يكون بتحديد الصفات الذاتية المشتركة بين الأفراد من الصفات العرضية الزائلة ، وفصــل الأمــور الذاتية عن العرضية ، وذلك لا يكون إلا بطريق العقــل المشــترك بين الأفراد ، ومن ثم فطريق المعرفة الحقة عند سقراط هو العقل لا الحس لأن العقل هو القاسم المشترك بين الناس جميعاً لأنهم يرون الحقائق بمنظار واحد وهو ذلك لم يهمل الحواس ولكــنه جعلهــا وسيلة تساعد العقل في عمله ومهمته وأنه إن كانت الحواس تخطئ في بعض الأحيان فالمدرك لهذا الخطأ هو العقل .

لقد أقام سقراط نظرية المعرفة على أساس الإدراكات العقلية دون الإدراكات الحسية ، وهو وإن اهتم بنظرية المعرفة فلم يهتم بها لذاتهــا ، وإنما جعلها وسيلة للمقصد الأسمى عنده ألا وهو الأخلاق

العملية ...

الأخلاق عند سقراط:

لقــد انحصــرت الفلســفة عــند سقراط في دائرة الأخلاق باعتــبارها أهــم مــا يهم الإنسان وهذا معنى قول " شيشرون " إن سقراط أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض أي أنه حول النظر من الفلــك والعناصر إلى النفس ، وتدور الأخلاق على ماهية الإنسان ، لأن السوفسطائيين كانوا يذهبون إلى أن الطبيعة شهوة وهوى ، وأن القوانيــن وضــعها المشرعون لقهر الطبيعة ، وأنها متغيرة بتغير العرف والظروف ، ومن ثم فهي نسبية غير واجبة الاحترام لذاتها ، ولذلــك فإن من حق الرجل القوي بالعصبية أو بالمال أو بالبأس أو بالدهــاء حــتى بــالجدل أن يستخف بها وينسخها ويجري مع هوى الطبيعة .

أمــا ســقراط فقد ذهب إلى خلاف ذلك تماماً ، فقد رأى أن الإنســان روح وعقل يسيطر على الحس ويدبره ، والقوانين العادلة صادرة عن العقل ومطابقة للطبيعة الحقة – وذهب إلى أبعد من هذا فقــد اعتبرها أنها صورة من قوانين غير مكتوبة رسمتها الآلهة في قلــوب البشــر – ولذا فإن من يحترم القوانين العادلة يحترم العقل والنظام الإلهي .

والإنسان يريد الخير دائماً ويهرب من الشر بالضرورة ومنه عــرف الخير فلابد أن يأتيه أما الشهواني فرجل جهل نفسه وخيره

ولا يعقل أن يرتكب الشر عمداً ، وعلى ذلك فالفضيلة علم والرذيلة جهل ، وهذه العبارة مشهورة عن سقراط تدل على مبلغ إيمانه بالعقل وحبه للخير ، وإن كان فيها إسراف فما أجمله من إسراف . (١)

وبالرغم مما فعله سقراط من أجل الأخلاق ومن ضبطه للحقائق ومحاولة إنقاذ المجتمع الأثيني من الوهدات التي سقط فيها بسبب السوفسطائيين ، فإنه لم يسلم من النقد خاصة فيما يتعلق بنظريته حول الأخلاق وأهم ما وجه إليه من أرسطو قوله : إن سقراط نسي أو تناسى أن الإنسان ليس عقلاً فقط وإنما هو عقل وشهوات ، وأن أكثر أعماله محكومة بالعواطف ، وإذ ذاك قد يقع في الخطأ وهو عالم به " .

يقول الأستاذ " سانتهلير " رداً على هذه النظرية " ليس ما يقع الإنسان فيه من الإثم ناشئاً عن خطأ في الموازنة بين اللذة الحاضرة والآلام المستقبلة التي هي أكبر منها كما يعتقد سقراط ولا ناشئاً عن جهل بطبائع الأشياء إنما منشؤه فساد في الخلق يحمل الإنسان على تفضيل الشر على الخير وهو عالم بهما وبقيمة كل منهما .

فإن الشرير لا يجهل البتة ما يفعل من سوء إنما يشعر تماماً

---

(١) انظر بتصرف : تاريخ الفلسفة اليونانية : يوسف كرم (ص ٥٢ – ٥٣) ، وانظر : في تاريخ الفلسفة اليونانية للدكتور / عوض الله حجازي (ص ٩٩ – ١٠١) .

بخســـرانه ، ولكنه يسعى إلى هذا الخسران ، وهو آسف إنما هزيمة عقلـــه نفسها هي الفاعلة للخطيئة لأنه إذا كان يجهل ما يفعل فليس بمجـــرم ، ولا بمسئول أمام الناس ولا أمام الله ، وحينئذ بهذه المثابة لا تكون الفضيلة والعلم متماثلين ، فقد يعلم الإنسان ولا يعمل ، وقد يعمـــل عـــندما يعلم ، وإذا كانت الفضيلة في الواقع هي العلم وجب علـــى الإنسان أن يقتصر على أن يعلم ليكون فاضلاً وبذلك تتضاءل الحياة الأخلاقية إلى مجرد النظر والتأمل . (١)

---

(١) **كتاب الأخلاق لأرسطو – ترجمة الأستاذ أحمد لطفي السيد – نقلاً عن قصة الفلسفة اليونانية (ص ٨٨) .**

الفصل السابع

{ المدارس الفلسفية بعد أرسطو }[1]

تمهيد :

بعد أرسطو لم تشهد بلاد اليونان تجديداً يذكر في الفكر الفلسفي بل لم تقف عند الحدود التي أرساها أرسطو ، ولكنها تدهوت ورجعت إلى الوراء ، وأصبحت الفلسفة شخصية بعد أن كانت عالمية ، وأصبحت تدور حول الشخص ، وخيره ، ومصيره وسعادته – وبوجه عام أصبحت تدور حول الأخلاق وحدها ، وإن تجاوزتها ، فإنما تتجاوزها لخدمة الأخلاق لا غير .

فقد ظهرت في هذه الفترة بعض المدارس الفلسفية التي استندت على آراء السابقين من الفلاسفة ،وإن كانت لها بعض الإضافات إلا أنها يسيره . [2]

وسنشير إشارة سريعة إلى إحدى هذه المدارس ، في هذا التمهيد ، وهذه المدرسة هي :

مدرسة الشكاك :

وأشهر فلاسفتها هو " بيرو " أو " بيرون " الذي عاش ما بين (٣٦ – ٢٧٥ ق . م)، وقد اشترك بيرون مع الإسكندر الأكبر في

---

(١) الباحث بصدد إعداد دراسة مفصلة عن أرسطو وأفلاطون وفلسفتهما .

(٢) في تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ١٨٥ – ١٨٦) .

غزواته وشارك في الحملة التي سيرها الإسكندر إلى الهند . [١]

ويبدو أنه تأثر بآرائه من البلاد التي انتقل إليها .

وقــد عــرف في تاريخ الفلسفة اليونانية بأنه صاحب مذهب الــلا أدرية . المنكر للعلم واليقين ، فكل شيء عنده يحتمل الإيجاب والسلب بقوة متعادلة . [٢]

وكــل شيء موجود ومعدوم في آن واحد " لا شيء موجود ولا معدوم في هذا الكون . [٣]

هــذه الآراء قــال بها بيرون ، ويبدو أنه لم يصل إلى هذه الآراء بعد دراسة عميقة أو تأمل فلسفي ، وإنما قال بها على اعتبار أنها وسيلة للسعادة وذريعة إلى تخفيف ويلات الحياة .

ويتــبقى عــندنا مدرستان كبيرتان كان لهما تأثير كبير في داخــل بــلاد الــيونان ، وخارجهــا وهمــا مدرستا الأبيقوريين ، والرواقييــن ، اللــتان امــتد وجودهما وتأثيرهما إلى ما بعد ميلاد المســيح عليه السلام . وسنتحدث عن أهم الآراء الفلسفية عند الأبيقوريين فــي المبحــث الأول ، وفي المبحث الثاني سنتحدث عن : المدرسة الرواقــية ، وأهــم الآراء الفلســفية التي قالت بها مراعين الترتيب التاريخي في العرض .

---

(١) **قصة الفلسفة (ص ٢٢١ – ٢٢٢) .**

(٢) **تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٢٣٤ – ٢٣٥) .**

(٣) **الفلسفة الإغريقية (ص٢١٢–٢١٣) ، وفلاسفة الإغريق (ص٢٦٧– ٢٤٦) .**

المدرسة الأبيقورية :

تنسب هذه المدرسة إلى أبيقور الذي عاش ما بين ٣٤١ – ٢٧٠ ق . م ، ولد في ساموس ، من أسرة أثينية عريقة وكان أبوه معلماً في إحدى المدارس الإغريقية وكانت أمه ساحرة تذهب إلى المنازل لتلاوة الرقى ، والتعاويز ، ويقال إن أبيقور كان يصحبها المنازل التي تذهب إليها مما كان له أكبر الأثر في بغضه للتدين ونبذه كل فكرة تتعلق بما وراء الطبيعة على اعتبار أن السحر جزء منه ، وقد شاهد ما كانت تقوم به أمه من الكذب في هذا الجانب ، ولما بلغ أشده٠ ارتحل إلى أثينا ثم رحل منها إلى آسيا الصغرى وتعلم في بعض مدنها ثم عاد مرة أخرى إلى أثينا وهو في سن الثلاثين ليفتتح مدرسة في حديقته التي اشتهرت باسم حديقة أبيقور ، كان يجمع في هذه الحديقة الشبان والفتيات لا يفرق بين طبقة وأخرى ، ولا يتقيد بسن معينة ، فقد كان يقول " يجب على الشباب أن لا ينتظر إلى وقت معينة لكي يتفلسف كما يجب على الشيخ أن لا يتعب من أن يتفلسف ، كذلك لأنه فيما يتعلق بعناية الشخص بتربية نفسه لا يصح مطلقاً أن يقال " إن الوقت لم يحن بعد ، ولا أن الوقت قد فات لأن من يقول : إن وقت التفلسف لم يحن بعد أن يكون مثله مثل من يقول : إن ساعة اشتهاء السرور لم تحن أو قد انقضت " [١] ونظراً لهذه الآراء المخالفة لمن سبقه فقد التف حوله التلاميذ وذاع صيته ، وكان كما تذكر الآثار عنه محبا لتلاميذه

---

[١] **الفلسفة الإغريقية (ج ٢ ص ١٨٩) .**

محبيــن له ، وكــان من فرط إعجابهم به في حياته وبعد مماته أن اعتــبروه إلهــاً ، ويبدو أن هذا كان من فرط إعجابه بنفسه إذ كان يفــتخر دائمــاً بأنه علم نفسه بنفسه ، وأنه لا فضل لأحد عليه من المتقدميــن ، وإن كان هذا القول مبالغاً فيه كما سيتضح . [١] من خلال عرضنا لآرائه .

أراؤه :

لــم يكن أبيقور يهدف من خلال تعاليمه وضع أسس لأنظمة الحكــم أو الخوف على الوطن وسلامته وأمته ، ولكن هدفه الأسمى هو أن يحرر الإنسان من الخوف من الآلهة ، ومن الموت ، ولذلك نجــده يعــرف الفلسفة بأنها " النشاط العملي الذي يحقق السعادة في الحياة " . [٢] وهذه السعادة كما سيتضح من مذهبه هي اللذة ، وكل مــا يوصــل إليها وحينما نراه يشتغل بالمنطق أو الطبيعة فإنما كان يفعــل ذلــك بالقدر الذي رآه ضروريا لخدمة مذهبه في الأخلاق ، ومعيارها الذي يقاس به الخير والشر . [٣]

---

(١) انظر : في ترجمة أبيقور : تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٢١٤) ، موسوعة الفلسفة (جـ ١ ص ٨١) ، والموسوعة الفلسفية المختصرة (ص ١٤) ، وحكمة الغرب (جـ ١ ص ٢٠٧) .

(٢) الفلسفة الإغريقية (جـ ٢ ص ١٩٢) وانظر تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٢١٥) .

(٣) انظر : في تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ١٨٨) .

ويمكن أن نقسم آرائه إلى أربعة أقسام :

أولاً : الطبيعة :

تأتـــي أهمـــية علـــم الطبيعة عند أبيقور لا لذاته ، وإنما لما يترتب عليه من عمل أخلاقي ، والهدف منه تخليص النفس البشرية من خوف الظواهر الجوية ، ومن الموت ، ويضرب لذلك مثلاً " قد تكـــون علـــة الكســـوف توسط القمر ، وقد تكون توسط جسم غير منظور وقد تكون انطفاء الشمس وقتياً ، ولا حاجة لإيثار تفسير على آخر فإن أي واحد منها يكفي لتبديد الخوف من الكسوف ، وهذا هو المقصود [١] ، ومراده أن أي تفسير يخرج عن دائرة نسبة الكسوف إلى الآلهة يكون مقبولاً ، لأنه على هذا التفسير يكون قد نحي الآلهة جانباً عن الكون وتدبيره ...

وتجمـــع المصــــادر على أن أبيقور لم يضف شيئاً إلى العلم الطبيعـــي ، وأنـــه تبنـــي مذاهـــب مـــن سبقه من الفلاسفة خاصة ديمقـــريطس صاحب المذهب الذري ، فهو يعتبر أن الطبيعة ليست مـــن صـــنع الآلهة ففي الطبيعة عناصر أزلية بسيطة ، منها تتألف الأجسام المركبة وإليها تعود فكل جسم مركب من ذرات أزلية ، لا تفني ، والكائنات الحية خرجت من الأرض وحركتها ناتجة عن نفس مؤلفة من ذرات لطيفة . [٢]

---

[١] **تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٢١٦ – ٢١٧) .**

[٢] **تاريخ الفلسفة العربية (ص ٩٦ – ٩٧) : حنا الفاخوري ، د / خليل الجرف – دار الجيل – بيروت (جـ ٢ ص ١١٨٢) .**

وعلـــى هذا يكون كلامه مطابقاً لكلام ديمقريطس [١] ، أو بعـــبارة أدق كلامــــه ترديد لكلام ديمقريطس بوجه عام ، إلا أنه قد خـــالف ديمقـــريطس في حركة الذرات ، فاعتبر أبيقور أن الذرات تســـقط إلـــى أسفل باستمرار ، لأن كل ماله ثقل فلابد أن يسقط إلى أسفل وبسرعة واحدة ، وفسر تلاقي الذرات بعضها مع بعض لوجود الكائنات .

بفكـــره جديـــدة أضـــيفت للمذهـــب الذري ، ألا وهي فكرة الانحـــراف ، ومفادها أنه " بينما تهبط الذرات في خط مستقيم خلال الفضاء بفعل ثقلها الذاتي في أوقات غير معلومة تماماً ، وفي فترات غـــير معلومة تنحرف قليلاً عن مسارها ، بما يكفي فقط أن يستطيع المـــرء القـــول بأنـــه حدث تغير في حركتها ، لأنها لو لم تكن لها خاصية الانحراف هذه عن الخط المستقيم لسقطت جميعها إلى أسفل مـــثل قطـــرات المطـــر خلال أعماق الفضاء ،ولما حدث تصادم ، ولمـــا قرعت ذرة بذرة أخرى ، ومن ثم فما نتج عن الطبيعة شيء بالمرة . [٢]

إن أبيقور يعتبر أن هذا الانحراف ضروري لتكون الأجسام بل أكثر من ذلك اعتبر هذا الغرض هو الوحيد لتلاقي الأجسام التي

---

(١) انظر نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (جـ ١ ص ١٦٨ – ١٦٩) .

(٢) لوكريفيوس الكتاب الثاني (ص ٢١٦) ، وما بعدها – نقلاً عن فلاسفة الإغريق (ص ٢٠٠) .

تنشــأ مــن تلاقي الذرات بعضها مع بعض [١] ، وقد ذهب بعض الباحثين إلى اعتبار أن " هذا الانحراف عنصرا جديدا للعلية غير أنه لا يمكــن التكهن به ، ولا يمكن تفسيره على الإطلاق " [٢] ، وإذا كان الانحراف ضروري لتكوين الأجسام ، فإن بعض الباحثين يذهب إلــى أن أبــيقور أدخل فكرة الانحراف في المذهب الذري لاعتبار أخلاقي يتمثل في تفسير الحرية الإنسانية بمعنى إمكان نعم أو لا وقد أكد أبيقور هذه الحرية ، ولم يستطع أن يجد لها مصدرا غير القدرة التي يجدها الإنسان على الإنحراف عن الطريق الأصلي [٣] ، يقول أبــيقور " كــيف لــنا أن نفسر هذه الإرادة المطلقة التي نجدها في الكائنات الحية في مختلف أرجاء العالم ، وما أصل هذه الملكة التي انتزعــناها من الأقدار والتي يستطيع كل منا أن يذهب حيث تقوده متعته منحرفين في حركاتنا تماماً مثلما تفعل الذرات في أوقات غير محــددة ، وأماكــن غير محددة ؟ إن إرادة الإنسان هي التي تهيئ المــبادرة ، ومــنها تنتشر الحركات خلال الأطراف – ألا ترى أنه رغــم بعــض القوى الخارجية التي كثيراً ما تدفع الناس إلى الأمام وغالــباً ما تجرهم إلى الاندفاع إلى الأمام بسرعة ضد إرادتهم . أن هناك برغم ذلك شيء في صدرنا قادر على أن يتصدى لهذا الدفع ، ويقاومه ،وأنه تبعاً لقوة هذه القدرة الكامنة داخل أنفسنا يضطر الكم

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٢١٧) ، وموسوعة الفلسفة (جـ ١ ص ٨٤) .

(٢) ريكس وونره : فلاسفة الإغريق (ص ١٨٨) .

(٣) انظر : موسوعة الفلسفة (جـ ١ ص ٨٤) ، والموسوعة الفلسفية المختصرة (ص ١٤) .

الإجمالــي للمــادة فــي بعض الأحيان إلى تغيير المسار في أرجاء الجسم والأطراف " [١] ، وإنما اضطررت لنقل النص بطوله ، لأنه يبيــن أن الاعتــبار الأخلاقي كان مسيطراً عليه ، وهو يتحدث عن العــالم ونشــأته ، لأن الانحراف ما دام متحقق فينا فهو متحقق في الجواهر إذ لا يمكن أن نعتبر الإنسان استثناءاً في الطبيعة . [٢]

وهذا ما يجعلنا نميل إلى الرأي القائل أن أبيقور حين دعا إلى النظرية الذرية لم ينزع إليها لذاتها ، وإنما باعتبارها دواء يشفي من الخرافة ومن الآلهة ومن الشياطين ، وأن لا يفزعوا من الموت ومما في العالم السفلي من ضروب العذاب .

ثانياً : النفس :

الــنفس الإنسانية جسم حار لطيف للغاية ، تتألف مع الجسم من ذرات وتتحلل بانحلاله ولها وظيفتان :

الأولــى : حــيوية وهي بث الحياة في الجسم وذراتها لطيفة متحركة في الجسم كله .

الثانية : وجدانية ، وذراتها ألطف ومحلها القلب .

والأولــى شرط للثانية ، والجسم مكون منهما ، فإذا انفصلت جواهر الجسم انطلقت النفس وتبددت جواهرها ،والنفس الحيوية تتألم

---

(١) لوكريتيوس : الكتاب الثالث (ص ٨٣٠ وما بعدها) ـ نقلاً عن فلاسفة الإغريق (ص ٢٠٢) .

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٢١٨) .

بألم الجسم أما النفس الوجدانية فإنها مستقلة وتستطيع أن تكون سعيدة مهما كان ألم الجسم . [١]

والذرات التي تحرك الجسم عبارة عن عناصر أربعة ، النار ، الهـواء ، والريح ، والجوهر المفكر . ولكل عنصر من العناصر الأربعة مهمة محددة :

فالهواء هو عنصر الهدوء .

والنار عنصر الشجاعة .

والريح عنصر الخوف .

وهذه العناصر موجودة في الإنسان والحيوان على السواء ، ولكـن العنصر الرابع : وهو الجوهر المفكر هو الذي يميز الإنسان عـن الحـيوان ، لأنـه هو الذي يقود الحياة العقلية ، ويتحدث بين الحـيوانات بعضـها والبعض من ناحية الطباع – بغلبة إحدى تلك العناصـر علـى الأخرى – كالنار في الأسد ، الريح في الظبي ، وهكذا . [٢]

وبناء على أن النفس مادية ، فهي مكونة من ذرات لطيفة فإن الإحساس يفسر بأنه تصادم انبعاثات من الأشياء حتى إذا ما صادفت الحـواس وبلغت منها إلى القلب حدث الإحساس ، وفي الهواء أشباه لا يحصـيها العد لتطايره ، وهذه الأشباه عرضة لأن يختلط بعضها

---

[١] تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٢١٨) بتصرف .
[٢] تاريخ الفلسفة اليوانية (ص ٢١٨) ، وحكمة الغرب (ج ١ ص ٢٠٩) .

ببعض ، في مجاريها أو تلتوي أو تنقسم وهذا أصل أخطاء الحواس ، كــرؤية البرج المربع مستديراً ،وهذا أصل تصورنا في الأحلام . ولــذا فلا موجب للخوف مما يبدو في النوم ،ولا إلى اعتباره نذيراً من الآلهة بالعذاب . (١)

وعلــى هذا التفسير للنفس ومكوناتها ، فإن الموت حين يأتي تــنحل الــذرات وتفقــد تماســكها مع الجسم وتتبعثر ، وتظل باقية باعتبارها ذرات ولكنها لا تعد قادرة على الإحساس ، ويخرج أبيقور من هذا إلى أن الخوف من الموت يتنافى مع العقل لأن الموت ذاته لــيس شيئاً يمكن أن نجزع به (٢) ، وهذا يدل دلالة واضحة على أن أبــيقور كــان لا يؤمن بغير المحسوس ، وهو ينكر كل وجود غير الوجود الحسي .

ثالثاً : الآلهة :

مــر بــنا عــند الحديــث عن الطبيعة أن أبيقور كان يؤمن بالمذهــب الذري الذي مفاده أن الطبيعة خلقت نفسها بنفسها ، وأن الطبيعة ليست من صنع الآلهة ؛ ولكن أورد بعض الباحثين نصوصاً تدل على أن أبيقور كان يعترف بالآلهة ، فكيف نوفق بين تصريحه بعدم خلق الآلهة للطبيعة وبين تدليله على وجودها ؟

الواقــع أنــه قد ورد فعلاً عن أبيقور ما يفيد وجود الآلهة ،

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٢١٨) ، وحكمة الغرب (جـ ١ ص ٢٠٩) .
(٢) حكمة الغرب (جـ ١ ص ٢٠٩) .

وهو يدلل على وجودهم بالأدلة التالية :

أولاً : أن فكـرة الآلهـة موجـودة لدى الناس جميعاً وفي رءوسهم ، وهي فكرة سابقة تكونت بتكرار الإحساس ، وكل إحساس فهو صادق [١]

ثانياً : أن الإنسان دائماً في حاجة إلى أن يجسم آماله وأمانيه في سورة مثالية عليا والآلهة يقابلون هذه الصورة المثالية . [٢]

ثالثاً : أن لكل شيء ضده لكي تتحقق المعادلة في الوجود . فلابد أن يقابل الوجود الفاني المتألم وجود دائم سعيد . [٣]

هـذه هي الأدلة التي ساقها أبيقور للتدليل على الآلهة ، وإن كان بعض الباحثين يذهب إلى أن اضطر اضطراراً لمجاراة العوام في معتقداتهم خوفاً من إلصاق تهمة الإلحاد به ، وسينفي هذا الزعم الدكـتور بدوي بقوله " إننا نجد كما يلاحظ " بسلر " أن أبيقور كان يتحدث بلهجة المؤمن الواثق من وجود الآلهة ، كما أنه لم يكن ثمة داع إلـى مسـايرة الأخلاق الشعبية خوفاً من تأثير الجمهور ، لأن الإلحاد في عصره لم يكن شيئاً يلقي مقاومة أو اضطهاداً ، فليس ثمة مـن دافع له إلى أن يسلك هذا السبيل الملتوي ويكون مؤمناً تَقِيَّةً لا تقي " . [٤]

---

[١] الفلسفة الإغريقية (جـ ٢ ص ٢٠١) ، وتاريخ الفلسفة (ص ٢١٨) .
[٢] موسوعة الفلسفة (جـ ١ ص ١٨٥) ،وتاريخ الفلسفة اليونانية (ص٢١٨) .
[٣] تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٢١٩) .
[٤] موسوعة الفلسفة (جـ ١ ص ٨٥) .

وينبغـــي أن نشـــير إلى أن الآلهة التي دلل عليها أبيقور هي آلهـــة مادية وثنية أجسامهم لطيفة غاية اللطافة ، وكما تختلف الآلهة عـــن البشـــر فـــي مادتهم يختلفون عنهم في أسلوب الحياة ، فهم لا يـــنامون مـــثل البشـــر وهم يأكلون ولكن من طعام خاص بهم لأن طعـــام البشـــر لا يتفق مع طبيعتهم ، وهم يتكلمون فيما بينهم باللغة الإغريقية إذ هي وحدها الجديرة بمقامهم [١] ، وهذا هو المنتظر من أبـــيقور في تصويره للآلهة بصورة حسية تتفق مع ما ينادي به من لذة ومتعة .

والســـؤال الذي يطرح هنا . كيف يستقيم قوله بوجود الآلهة مع قوله بأن الطبيعة ليست من صنع الآلهة ؟

من خلال الإلمام بمذهب أبيقور وفلسفته ، يلاحظ الباحث أن أبيقور نفى نفياً قاطعاً عناية الآلهة بالكون ويدلل على ذلك بالشرور الموجـــودة في الكون أنه يعتقد أن الإنسان مهما تقب في الكون فإنه لـــن يعـــثر على أي أثر للآلهة وعليه فلا فائدة في الآلهة ما دامت الذرات موجودة [٢] ، وهذه العبارة لا تنفي الآلهة ولكنها تنفي عدم العناية من جانبهم بالكون والإنسان .

ويتســـاءل أبيقور : أين العناية الإلهية في عالم حظ الشرفية أكـــبر بآلاف المرات من حظ الخير ، مصير الخير أسوأ بكثير جداً

(١) **الفلسفة الإغريقية (جـ ٢ ص ٢٠٢) ، والفلاسفة الإغريق ما وفقوا فيه وما عجزوا عنه – مقال ضمن تاريخ العالم (جـ ٣ ص ٧٦) .**

(٢) **الفلسفة الإغريقية (جـ ٢ ص ٢٠١) .**

مـــن مصير الشرير ؟ وأين العناية الإلهية في عالم جزء ضئيل منه جداً الذي يصلح لسكنى الإنسان [١] ، فهو ينظر إلى العالم والشرور الموجودة فيه وينتهي إلى أن الآلهة لو كانت معتنية بالعالم وما فيه مـــا وجدت الشرور والآثام ، فهي موجودة ، نعم ،ولكن وجودها لا يزيدنا خيراً أو شراً [٢] ، وهذا تفكير ساذج من أبيقور لأن الإنسان لـــن يشـــعر بالخير إلا إذا وجد الشر ، وهكذا ، ويحاول البعض أن يفسر السبب الذي جعل أبيقور لا يقول بالعناية الإلهية فيرجعه إلى :

أولاً : أن القول بالعناية الإلهية يعني أن الآلهة ستتأثر بأحوال الـــناس ومـــا يصـــيبهم من خير أو شر ، وهذا لا يتفق مع ما يليق بالآلهـــة مـــن ســـعادة ، لأنها في تلك الحالة ستكون عرضة للآلام والشرور ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أن عناية الآلهة بالخلق ستحدث فيهم تغييراً باستمرار .

فســـواء نظـــرنا إلى المسألة من ناحية ما يجري في مواقع الطبـــيعة ، أو نظرنا إليها من ناحية ما يليق بالألوهية ، فكل شيء يؤذن قطعاً بعدم العناية الإلهية ،وبناءاً على ذلك فإن تدخل الآلهة في شـــئون الكـــون يفســـدها ، ويعتبر أبيقور أن من التقدير للآلهة أن لا تنشـــغل بـــأمور الإنســـانية لأن سعادتها قد وصلت إلى درجة لا تجعلها تضايق نفسها بشئوننا . [٣]

---

[١] **موسوعة الفلسفة (جـ ١ ص ٨٤) .**

[٢] **حكمة الغرب (جـ ١ ص ٢١٠) .**

[٣] **انظر موسوعة الفلسفة (جـ ١ ص ٨٥) ، والموسوعة الفلسفية (ص ١٩)**

ثانياً : إن القول بعدم العناية الإلهية بالكون من شأنه أن يزيل الخــوف الــذي هو مصدر الألم وإذا زال الخوف من الآلهة ، ومن المــوت تحققــت اللذة المنشودة التي يحاول أبيقور أن يصل إليها . والقــول بعــدم العــناية الإلهية تتناسب مع المذهب الأخلاقي الذي وضعه أبيقور [١] ، وبني عليه نظرته إلى الطبيعة ، والنفس والآلهة والأخلاق .

رابعاً : الأخلاق :

لقــد عــرف مذهــب أبيقور قديما وحديثاً بأنه مذهب اللذة والمنفعة واللذة التي ينادى أبيقور بها ، ويعمل جاهداً للوصول إليها هي لذة حسية من حيث إنه لا يعترف بغير الحياة الدنيا ، وقد سجل أبــيقور هدف مدرسته في أحد الرسائل التي بعث بها إلى تلاميذه ، وهذه الرسالة تدور حول الغاية التي ينشدها كل كائن حي ، ألا وهي اللــذة ويستدل على ذلك بأن الحيوان مدفوع بغريزته إلى اللذة وإلى الفــرار من الألم ، ويخرج من ذلك بأن الإنسان يشبه الحيوان لأن طبيعتهما واحدة ، وإن محاولة إبعاد الإنسان عن اللذة – هي محاولة لإقصــائه عن طبيعته ، واللذة ضرورية للإنسان لأنه لن يصل إلى مرتــبة الحكمة إلا بعد شعوره الهدوء التام ، وهذا الهدوء لا يتحقق إلا بخلو الجسم من الآلام ، والنفس من الاضطرابات وهذا الخلو لا يتيســر إلا بتحقــيق اللذة السلبية التي تعني عدم الإحساس بالألم في حالة السكون .

---

(١) **حكمة الغرب (جـ ١ ص ٢٠٩ ـ ٢١٠) .**

واللـــذة الإيجابـــية التـــي تعنـــي الشعور بالسرور في حال الحركة [١] ويعتبر أبيقور أن اللذة كلها خير ، وما دامت كذلك فإن الوســيلة إلـــى اللذة خير ، لذلك بشرط أن تكون اللذة لذة وأن تكون الوسيلة [٢] ، مؤدية إلى لذة .

أقسام اللذات :

أولاً : اللـــذة الطبيعية ، وتتمثل هذه اللذة في الأكل والشرب والنوم ، وهذه ضرورية وخيرة في نفس الوقت .[٣]

ثانـــياً : اللـــذة الصـــادرة عن نزعات طبيعية كمالية – مثل الأطعمة الفاخرة ، والمشروبات اللذيذة ، والمتع الجنسية ، والزواج ، والأبناء ، وهذه تنوع اللذة فقط ، وهي خيره في نفس الوقت لأنها تحدث اللذة ، وإن كانت في مرتبة أقل من المرتبة الأولى . [٤]

ثالثاَ : اللذة الصادرة عن نزعات ليس طبيعية ولا ضرورية ، مـــثل لـــذة المال والكرامة والطمع والطموح ، وهذه اللذات غير ضـــرورية لأنـــنا لا نشـــعر بحاجـــة طبيعـــية أصـــيلة نحـــو هذه الملفات . [٥]

---

(١) **الفلسفة الإغريقية (جـ ٢ ص ٢٠٣ – ٢٠٤) .**

(٢) **تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٢١٩ – ٢٢٠) .**

(٣) **موسوعة الفلسفة (جـ ١ ص ٨٧) .**

(٤) **تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٢٢٠) ، والفلسفة الإغريقية (جـ ٢ ص ٢٠٦) ، موسوعة الفلسفة (جـ ١ ص ٨٨) .**

(٥) **موسوعة الفلسفة (جـ ١ ص ٨٨) ، وتاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٢٢٠) .**

والحكيم هو الذي يتعلق بالنوع الأول فقط ، وذلك لأن كسرة خبز وجرعة ماء تجعلانه يشارك آلهة اليونان سعادتهم وهناءهم .

أمـا القسـم الثانـي مـن اللذات فإن الحكيم ينظر إليها إن كـان محتاجاً إليها أو ليس في حاجة إليها ، والذي يحدد الحاجة من عدمها . الحكمة العملية فإن حكمت بقبولها رضها ولكن بقدر خشية أن يحولها بالشغف بها إلى نزعات ضرورية فينقلب عبداً لها ولذلك فالحرص عليها يجب أن يكون ضئيلاً .[١]

أما القسم الثالث : فإن الحكيم يقهر نزعاته تجاهها ، ويرفض لذائذهـا بالكلـية لأنهـا تجـر عليه الاضطراب فيجب أن يتجنبها نهائـياً [٢] ، ويـبدو أن أبيقور كما حكى عنه تلاميذه لم يحاول أن يجـري خلـف جمع المال أو المناصب الحكومية لأنه كان يرى أن المناصـب تحـدث حـتماً اضـطراباً في النفس ، وورد عنه قوله " مـن حسن حظي أنني لم أختلط يوماً باضطرابات الحكومة ، ولم أحـاول قط أن أرضي الشعب ، لأن الشعب لا يفهم ما أعرف ،ولا يتفق معي فيه ولأني أيضاً أجهل ما يتلاءم معه [٣] ، أما ما يتعلق بالقسـم الثاني فإن المصادر لا تمدنا بسلوك أبيقور تجاهه فلم نعرف هل تزوج أولا ؟ هل كانت له حياة ناعمة أولا ؟ كل هذه الأسئلة لا نجد لها جواباً في المصادر التي تحدثت عن حياته ، وسيرته " .

---

(١) **تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٢٢٠) وموسوعة الفلسفة (جـ ١ ص ٨٨) .**

(٢) **الفلسفة الإغريقية (جـ ٢ ص ٢٠٦) .**

(٣) **نفسه (جـ ٢ ص ٢٠٧) .**

رابعاً : اللذة المعنوية :

ينسـب إلى أبيقور أنه لم يقل باللذة الحسية فقط ، وإنما قال بـاللذة المعنوية ، ويستدل على ذلك من خطابه إلى بيتوكوس الذي يقول فيه : " حين نرى أن اللذة غاية ، فلسنا نعني لذائذ المتهتكين ، ولا اللـذات التي قوامها الشهوة الحسية ، إنما نعني التحرر من ألم الـبدن ،ومما يعكر صفو العقل ، لأن اللذة ليست هي إدمان الشراب كـلا ولا هـي اتباع الشهوات لكنها هي تفكير الصحو حينما تنقص الدواعي ، التي تدعونا لكل فعل من أفعال الاختيار والرفض [١] ، هذه هي العبارات التي فهم منها البعض أنه يقول باللذة العقلية ،ولكن أبيقور يرتب هذا الصفو على لذات حسية تتمثل في الطعام والشراب ، ويعتبر أن اللذة من وراء الطعام والشراب هي اللذة السلبية التي لا تعادلهـا لـذة – لأن الألم يهدأ بعدها وقل هذا في سائر المتع الحية كالجـنس ومـا شاكل ذلك ، والذين يقولون بأن أبيقور يقول باللذة المعـنوية نظـروا إلى الغاية من وراء المتع الحسية ، وهي ذهاب الآلام فظنوا أنه يقول باللذة المعنوية ، وأقواله ، وأقوال تلاميذه تشهد بذلـك يقـول الدكتور / بدوي " إن أبيقور يقول مراراً ويزيد عليه تلميذه (مطرودوس) أن مصدر كل لذة هو البطن " [٢] ، فهل بعد ذلك من اعتراف باللذات الحسية التي مصدر كل سعادة ، يقول " أنا لا أستطيع أن أدرك الخير إذا ألغيت من الحياة لذائذ : الذوق والسمع

---

(١) **الموسوعة الفلسفية المختصرة (ص ١٥) .**

(٢) **موسوعة الفلسفة (ج ١ ص ٨٧) .**

والمتع الجنسية . (١)

لا صـــراحة بعد ذلك في القول بالمتع الحسية ويقول " بدون شك يوجد سرور في نفس ، ولكن هذا السرور لا يكون أبداً إلا من ذكريات ماضي اللذائذ الجسمية ،ومستقبلها ، وكذلك جميع المسرات التي يخيل إلى الناس أنها نفسية خالصة ، هي كلها مادية أو راجعة إلى نتيجة مادية ، فمثلاً لا يشعر الإنسان في الصداقة بأي سرور إلا إذا تمثل في الصديق أنه يشبه تعهداً بالأمن أو نوعاً من الضمان ضد الألم " (٢) .

كل هذه النصوص بلا شك تمثل ضحداً قوياً لرأي من يقول أن أبـــيقور يقول باللذة المعنوية – وكما يقرر الدكتور / غلاب في رده علـــى الذيـــن يقولون بأن أبيقور يقول باللذة المعنوية " ،ولو أن هـــؤلاء وأولـــئك تـــأملوا قليلاً في الجزئيات الأخرى من المذهب ، ورأوا هذه المادية التي تكتنفه من أوله إلى آخره في الألوهية والنفس ووســـائل المعرفة والمنطق لجزموا بأنهم حين يعزون الروحية إلى أبيقور إنما يسيرون في طريق لا يتفق مع التطور في شيء " (٣)

والحـــق أن الدكـــتور / غلاب قد أصاب كبد الحقيقة بقوله هذا .

---

(١) **حياة الفلاسفة : د / بوجين لارس – فقرة ٦ – من الكتاب العاشر نقلاً عن الفلسفة الإغريقية (جـ ٢ ص ٢٠٥) .**

(٢) **نفسه نقلاً عن بريهميه (ص ٣٥٧) .**

(٣) **الفلسفة الإغريقية (جـ ٢ ص ٢٠٨) .**

الآخرة عند أبيقور :

نظــراً لاصــطباغ المدرسة الأبيقورية بالحس في كل شيء ابتداءً من الطبيعة وانتهاءً بالآلهة – فإنه اعتبر الحياة الدنيا هي العالم الذي لا شيء وراءه بالنسبة للإنسان ونتيجة لهذا ، فإنه ذهب إلى أنه ما دامت النفس مكونة من ذرات لطيفة فإنه بعد موت الجسد تتحلل هذه الذرات ولا تعود مرة ثانية ، وبناءً على هذا فقد نظر إلى الموت علـــى أنه نهاية المطاف بالنسبة للكائنات الحية كلها ، وعلى رأسها الإنســـان ، والمـــوت في نظره " ليس شراً وليس خيراً ، لأن اللذة والألـــم همـــا وحدهما اللذان يتصفان بالخير والشر ، على حين أن المـــوت لا يعني شيئاً بالنسبة لنا ، لأن الموت ليس حاضراً معنا ما حييـــنا ، فـــإذا ما حضر الموت أنهى وجودنا . [١] ، بهذه النظرة الحســـية القائمـــة على اللذة أنهى " أبيقور" مشكلة الموت في زعمه وطلب من الناس ألا يخافوا الموت لأننا لن نشعر به إذا جاء .

وقد أورد تلميذه " لوكر بتيوس " نصوصاً من أقوال " أبيقور" عـــن الموت وما بعده فذكر طرفاً منها " الموت لا يعنينا في شيء ، فأمره لا يهم ما دام معروفاً أن طبيعة العقل فانية .

إنـــنا عـــندما نتوقف عن أن يكون لنا وجود ، عندما يحدث الصـــدع فـــي ذلـــك الاتحاد للجسم والنفس ، الذي ينشأ وجودنا من اتحادهمـــا عـــندئذ يتأكد لنا نحن الذين لم يعد لنا وجود أن لا شيء

---

[١] **الموسوعة الفلسفية (ص ١٥) .**

هناك . إنه لا يمكن أن يحدث شيء على الإطلاق ، ولا يمكن لشيء أن يثير إحساسناً ، إننا نعلم علم اليقين أن الموت يمكن أن لا يجلب لنا أهوالاً وأن من لا وجود له لا يمكن أن يكون تعساً " .[١]

وهــذه الأفكــار مــن شأنها أن تجعل الأبيقوريين وأتباعهم يغرقون في اللذات الحسية العاجلة ، دونماً خوفاً من عقاب أو وازع من ضمير ، لأنه لا حساب ولا عقاب ينتظرهم بعد الموت .

---

(١) **لوكر بتيوس : الكتاب الثالث (ص ٨٣ وما بعدها) نقلاً عن فلاسفة الإغريق (ص ٢٠٣ _٢٠٥) .**

٣ –المدرسة الرواقية :

من المدارس التي تميزت بطابعها المادي في تفسيرها للكون ونشأته والألوهية وتصورها ، المدرسة الرواقية ، وأطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى الرواق الذي كانوا يلقون فيه دروسهم .

وقــد نشــأت هــذه المدرسة معاصرة للأبيقوريين – الذين عارضــتهم المدرسة الرواقية في كثير من تعاليمهم ، وكانت مهمة الرواقــية العمــل على التخلص من الشقاء والوصول إلى السعادة ، ويذهب بعض مؤرخي الفلسفة إلى أن المدرسة الرواقية تعد من أكثر المــدارس تأثــيراً بعد أرسطو ، يقول " و . و . تارن " : إن فلسفة العــالم الهيلينتي كانت في الرواق ، وكل ما عداه كان ثانوياً . (١) ولقــد تميزت المدرسة الرواقية بأنها كانت بمثابة هيئة منظمة ، وقد اســتطاعت هذه المدرسة من خلال مبادئها الفلسفية أن تحقق بعض المطالب البشرية العميقة والدائمة .

والمدرسة الرواقية تنقسم إلى قسمين :

الرواقــية اليونانية : التي نشأت في بلاد اليونان – وأشهر فلاسفتها زينون ، وأفلاينتوس .

الرواقــية اليونانية : التي نشأت في بلاد الرومان ، وأشهر

---

(١) **فلاسفة الإغريق (ص ٢٠٦) ، وانظر : حكمة الغرب (جـ ٢ ص ٢١٠) . الفلسفة الإغريقية(جـ ٢ ص ١٣٩ – ١٤٠) .**

فلاســفتها ســبينكا وشيشــرون [١] ، وســوف نكتفي في دراستنا بالرواقــية اليونانــية نظــراً للتداخل بين آراء الفلاسفة الرواقيين – اليونانيين ، والفلاسفة الرواقيين الرومانيين .

يقول الدكتور "بدوي" إن المؤرخ لا يستطيع أن يبين تطور الفلســفة الرواقــية ،ولا أوجه الاختلاف العديدة بين كبار مؤسسيها خصوصاً فيما يتصل بالدور الثاني ، لأنه لم يتبق لدينا آثار يعتد بها في هذا الدور [٢] ، ونضيف من جانبا سبباً آخر ألا وهو :

" أن الدور الثاني فضلاً عن أنه غير يوناني فإن أغلبه تم بعد الميلاد ، وسوف نلم إلمامه سريعة بأشهر فلاسفة المدرسة الرواقية .

---

(١) **قصة الفلسفة اليونانية (ص ٢٠١) .**

(٢) **موسوعة الفلسفة (جـ ١ ص ٥٢٨) .**

أولاً : زينـون :

أشـــهر فلاســـفة المدرسة الرواقية زينون الذي عاش ما بين ٣٣٦ – ٢٦٤ ق . م ، ولد في " كتيوم " ، " أو سبنيوم " من أعمال فيرجي " . وكان أبوه يعمل بالتجارة ، وكان يتردد على أثينا حاملا فـــي عودته بعض الكتب التي من بينها كتب الفلسفة وبخاصة كتب أتـــباع ســـقراط ، وقـــرأ زيـــنون هذه الكتب ثم قدم أثينا ، والتقى بأصـــحابها واستمع إلى كثير من الفلاسفة الذين كانوا يشغلون الفكر اليونانـــي فـــي هـــذا الوقت أمثال " ثاوفراطس " ، " واقراطيس " ، " واستلبون " الميغاري وغيرهم من رجال الأكاديمية ويعد أن تمثل فلســـفتهم أقـــام مدرسة في رواق ، ونسبت مدرستهم إليه فأصبحوا يسمون بالرواقيين ،وقد خلف مؤلفات كثيرة ، ولكنها فقدت ولم يبق منها إلى شذرات قليلة . (١)

ثانيا : أقلابـنـتـوس ، **والبعض يذكر كليانت** (٣٣١-٢٣٢ق . م) قدم مـــن أســـوس وانضم إلى المدرسة الرواقية ثم ترأسها إلى وفاته ، وامتاز بقوة تمسكه وتعصبه للمدرسة الرواقية ،ولكنه لم يضف إلى فكـــرها جديداً نظراً لأنه كان قليل الحظ من المقدرة الجدلية ، قليل التوفيق في آرائه مع الأبيقوريين ولذا لم تزدهر المدرسة في أيامه ، ونظـــراً لقلـــة ذكائه كان البعض يطلقون عليه وصف الحمار .(٢)

---

(١) **تاريخ الفلسفة اليونانية (ص٢٢٣) . الفلسفة الإغريقية (جـ٢ص١٤٥ـ ١٤٦)**

(٢) **الفلسـفة الإغريقـية (جـ ٢ ص ١٤٦ ـ ١٤٧) . وتـاريخ الفلسـفة اليونانـية (ص ٢٢١) .**

وكانت له مؤلفات ، وإن لم يكن فيها إبداع إلا أنه حافظ على مذهب زينون .

ثالثاً : ثالث فلاسفة المدرسة الرواقية : أفريسيوس (٢٨٢ – ٢٠٩ ق . م) : ولد في سواس من أعمال قبرص ،ودخل المدرسة الرواقية فرفع من شأنها بتعليمه القوي ،وكتبه الكثيرة ويأتي في المرتبة التالية لزينون ، لأنه يعد المنظم النهائي ، والواضع لكل أجزاء المذهب الرواقي ، خاصة وأنه وضع منهجا خاصاً ، لم يتابع فيه أحداً من الفلاسفة . (١)

ونظراً لأن مؤلفات فلاسفة المذهب الرواقي لم يبق منها إلا شذرات (٢) ، بما يتعذر علينا أن نتبع كل فيلسوف على حده ، ولأن آراءهم اختلط بعضها ببعض ، لذا سنعرض للمدرسة كلها جملة واحدة لنأخذ صورة إجمالية عن أهم القضايا الفلسفية التي أثارتها وأدلت فيها بدلوها .

أهم الآراء الفلسفية عند الرواقيين :

بالرغم من أن المدرسة الرواقية اهتمت اهتماماً بالغاً بالأخلاق وما يتعلق بها ، إلا أنها لم تهمل المشاكل الفلسفية التي تحدث فيها الفلاسفة اليونانيين بوجه عام ، وسنعرض لآرائهم الفلسفية في الطبيعة والألوهية والأخلاق .

---

(١) موسوعة الفلسفة (جـ ١ ص ٥٢٨) ، وتاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٢٢٣)

(٢) انظر : الفلسفة الإغريقية (جـ ٢ ص ٢٨) ، وموسوعة الفلسفة (جـ ١ ص ٥٢٨) . وقصة الفلسفة اليونانية (ص ٢٠١ – ٢٠٢) .

أولاً : الطبيعة :

أولت المدرسة الرواقية اهتماماً بالطبيعة ، وما يصدر عنها ، وما يتحرك فيها ، وكان الشيء الذي ركزت عليه ،وأبرزته بروزا واضحاً ، ودلت عليه من خلال فلسفتها هو الوجود المادي ، فالرواقية تنظر إلى المحسوس على أنه الموجود وحده ، وأن ما عداه من اللامادية ، لاوجود له ، واعتبرت أن الإله ، والنفس البشرية وصور الأجسام ، والصفات والكيفيات أيا كانت أشياء مادية ، فالألوان والطعوم والأصوات كلها أجسام مادية (... وبهذه النظرة المادية البحتة نظرت الرواقية إلى الكون ونشأته، والسؤال الذي نطرحه باستمرار : هو كيف نشأ الكون ؟

يجيب الرواقيون : بأن النار المقدسة هي العنصر الأبدي الأزلي الذي انبثق عنه الكون المكون من الماء والهواء والتراب [١] وهذه النار نفثة من الإله الذي حل في النار وحلت النار فيه ، فبرزت تلك النار إلى الخارج مغلفة بحيز من الهواء – ثم ملأت الفضاء بخاراً الذي تحول إلى رماد بعد سقوطه ، ثم اجتمعت هذه العناصر وتكونت فيها الكائنات كلها – وانتظم العالم بجميع أجزائه دفعة واحدة وأخذت الموجودات تخرج من كونها شيئاً فشيئاً ، وما تزال تخرج بقانون الضرورة ، وهذا القانون ليس فيه مجال للاتفاق ، فكل ما يحدث مطابق للطبيعة الكلية [٢] ، والعالم لن يستمر على

---

[١] **الفلسفة الإغريقية (ج ٢ ص ١٥٩) .**

[٢] **قصة الفلسفة (ص٢٠٦–٢٠٧) ، والموسوعة الفلسفية المختصرة (ص١٦٦)**

صورته إلى الأبد بل إنه سيعود بعد أن يسير الشوط الذي قدر له ، ثم يتحول إلى نار عظيمة تصهر كل شيء كما كان أول الأمر وسيعود " زيوس " سيد الآلهة فيتضمن العالم في نفسه ولا يكون في الوجود إلا هو في صورة واحدة ، ولن يلبث حتى يعود مرة أخرى وهكذا ، وستتعاقب على العالم حالات الهدم ، والبناء إلى مالا نهاية ، وحين يعود العالم في المرة الثانية ، سيعود بكل تفاصيله – لأن تسلسل العلل والمعلولات ، يصير في دائرة مفرغة ويتكرر إلى غير نهاية – لأن من المستحيل على شيء ما أن يحدث على نحو يخالف ما حدث عليه قبل ذلك "[(١)] ، على هذا النحو من الوجود ، والعدم ثم الوجود مرة أخرى ينظر الرواقيون إلى الكون بنحو آلي – ولكن ليس عن طريق المصادفة – وهنا تبرز نقطة هامة هي أن الرواقيين تميزوا عن الأبيقوريين – بالقول بالعناية الإلهية وسيتضح ذلك جلياً عند حديثنا عن الرواقيين وموقفهم من الألوهية .

ولكننا في الوقت نفسه نرى تأثر الرواقيين بالفلاسفة السابقين عليهم وبخاصة آراء هيراقليطس ، إذ أن المبدأ الذي صدر عنه الكون عنده وعندهم واحد وهو النار .

وقد ذهب إلى هذا الرأي كثير من الباحثين (٢) وقد استعرض الدكتور عبد الرحمن بدوي في موسوعته للفلسفة الاحتمالات المختلفة التي استقت منها الفلسفة الرواقية ، نظرتها عن

---

(١) **انظر قصة الحضارة (جـ ٨ ص ١٨١) ، وقصة الفلسفة (ص ٢٠٧) ، موسوعة الفلسفة (جـ ١ ص ٥٣٥ – ٥٣٦) .**

الطبيعة ونشأة الكون وكان الاحتمال القوي أنهم تأثروا بهيراقليطس ، لكـن الدكـتور بدوي بعد أن قال " إن الرواقيين قد أخذوا الشيء الكثـير عـن هرقليطس وجعلوا نظريته هي الأساس أو المؤيد لما يذهـبون إليه من المادية في الوجود [١] ، بعد أن قال هذا . تراجع عـن القول بالتأثر المباشر من جانب الرواقيين بهيراقليطس وذهب إلـى أن الرواقيين قد عنوا بذكر مذهب هيراقليطس ، بعد أن آمنوا مـن قبل بالمادية وحاولوا بعد هذا أن يجعلوا المذاهب القديمة تأييدا لما يقولون به ، فماديتهم هي الأصل واستشهادهم بمذاهب الطبيعيين القدمـاء وسـيلة مـن وسائل التأييد فحسب " [٢] إلا أن هذا القول يجعلـنا نطـرح سـؤالاً آخر وهو ما هو التفسير لمادية الرواقيين المتطرفة على حد تعبير الدكتور بدوي ؟

يعد أن يستعرض الدكتور بدوي احتمال أن يكونوا قد تأثروا بالتفسـيرات المخـتلفة لتلاميذ أرسطو الذين قالوا بشيء من المادية يشـبه مادية الرواقيين ، ولكنه يستبعد ذلك الاحتمال ، وأخيراً يقرر كما قرر " تسلر " ، " ووردبيه " أن نزعة الرواقيين " المادية نزعة إلحاديـة متصلة بالعالم الظاهر المادي بصرف النظر عن أي عالم آخر فالسعادة يجب أن تتحقق في هذا العالم المادي في الذي تحيا فيه ، وإذا كانـت الحـال على هذا النحو فلابد من القول تبعاً لهذا فإن الموجودات في العالم المحسوس موجودات حقيقية وأن ما عداها من

---

(١) **موسوعة الفلسفة (جـ ١ ص ٥٣٣) .**
(٢) **نفسه (جـ ١ص ٥٣٤) .**

الموجــودات بما هو خال من المادة لا يمكن أن يعد موجودا حقيقيا فالطابع العملي في هذه الحالة متصف كذلك ، بأنه أرضي أي متصل بالعالم المحسوس المادي الذي نحيا فيه وحده ، وبهذا يمكن أن يكون الطابع العملي هو الأساس في هذه المادية الرواقية المتطرفة . [١] وهو تعليل مقبول إلى حد كبير فإن الدارس للفلسفة الرواقية .

يجــد أنهــا قــد أعلت من شأن المحسوسات واعتبرتها هي الحقــيقة الوحــيدة وركزت في نفس الوقت على الجانب الأخلاقي العملــي ، مما جعلها تذهب هذا المذهب البعيد في المادية ، وإن كنا نــرى أن مذهــب هيراقليطس قد شكل أساساً كبيراً في تكوينها منذ البداية لا بعد أن كونت مذهبها المادي ، كما ذهب الدكتور / بدوي .

مراتب الكائنات عند الرواقيين :

ذهب الرواقيون إلى أن الأجسام مركبة من مبدأين هما مادة ونَفَسْ حار يتحد بالمادة ، ويتوتر فيتبقى أجزاءها متماسكة .

والمــادة تنقسم إلى مالا نهاية عندهم ، وهذا الانقسام يسمح للنفس الحار أن يتحد بها تمام الاتحاد أي أن ينتشر فيها كلها انتشار البخور في الهواء والخمر في الماء بحيث يؤلفان " مزاجاً كلياً " .

فــيوجدان معاً دون أن يفقدا شيئاً من جوهرهما وخواصهما والتصور هو الذي يأتي بالحركة الذاتية ، وعلى هذا الأساس فالنبات ليس فيه نفس إذ ليس له تصور ولا حركة ذاتية ، والحركة النزوعية

---

[١] موسوعة الفلسفة (جـ ١ ص ٥٣٥) .

فـــي الحيوان تصدر عن التصور بالذات أما في الإنسان فإن النفس يجب أن تتدبرها فإن قبلتها صدرت عنها والقبول والرفض يخضعان للعقل الذي ميز به الإنسان عن الحيوان . (١)

فالأجســـام منها الجامد : الذي يتكون من المادة ولم تحل فيه الـــنار ، ومنها الحي : الذي يشتمل على الروح والجسم معا ، وهما متحدان اتحاداً لا يطرأ عليه الزوال والانحلال ما دامت الحياة . (٢)

ثانياً : الألوهية :

إن الـــدارس للفلســـفة الرواقية يجد أن الألوهية تتداخل مع الطبيعة .

وســـنحاول قدر إمكاننا أن نبرز رأي المدرسة الرواقية في الألوهية ، وتصورهم لها .

لقد مر بنا أن الرواقية تجعل الإله حالاً في الكون ، والكون حـــالاً فـــي الإله صادراً عنه في الوقت ذاته (٣) ، والروح العامة للفلسفة الرواقية تظهر أن كلمة الإله عند الرواقيين لها معنيان :

المعـــنى الأول : عام . وهو مرادف للكون كله ، وعلى هذا المعنى يكون الرواقيون من القائلين بوحدة الوجود .

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٢٢٦) ، وموسوعة الفلسفة (ج ١ ص ٥٣٥) . الفلسفة الإغريقية (ج ٢ ص ١٦٠ – ١٦١) .

(٢) الفلسفة الإغريقية (ج ٢ ص ١٦١) .

(٣) انظر : الفلسفة الخلقية ونشأتها (ص ٨٣) : الدكتور / توفيق الطويل – منشأة المعارف – سنة ١٩٦٠ م .

المعنى الثاني : خاص ويعني به الروح المدبرة للكون كله . وهذا يعني أن الرواقيين يقولون بالحلول ، أي حلول الإله في مظاهر الكون كلها . [١]

وعلى كل الأحوال فإله الرواقيين إله مادي لقد اعتبروه " قوة كامنة يحيا جزء منها داخل كل كائن بشري " [٢] . ومزجوا رأيهم المـادي بـالحلول فقالوا . إن الله هو النار الأولى ، ونسبة الله إلى العـالم كنسبة روحنا إلينا ونفس الإنسان نار كذلك جاءت من النار الإلهـية وأنبتت في الجسم كله ، وكذلك الله منبث في العالم كله لأنه نفـس العـالم ،والعـالم جسـمه – إلا أنـه يتألف من مادة لطيفة ودقيقة . [٣]

وينبغـي أن نلاحـظ أن الإله الذي يتحدث عنه الرواقيون ، لـيس هـو الله المتصف بصفات الجلال والكمال ، ولكنه إله مادي متمثل في النار ،ولذلك فهم حين يذكرون الله ويتوجهون إليه بالصلاة يقصـدون الـنار وقانونها أو (اللوغوس) ، ذلك العقل الكلي الذي وقعـت بموجبه الأحداث الماضية ، وتقع الأحداث الحاضرة وستقع

---

(١) **الفلسـفة الإغريقـية بتصـرف (جـ ٢ ص ١٦٢) ، وفلاسـفة الإغـريق (ص ٢٠٧) ، وقصة الحضارة (جـ ٨ ص ١٨٣) .**

(٢) **حكمة الغرب (جـ ١ ص ٢١٢) .**

(٣) **الديانة اليونانية القديمة (ص ١٥٣ – ١٥٤) . قصة الفلسفة (ص ٢٠٦) ن والموسوعة الفلسفية المختصرة (ص ١٦٦) . وانظر نشأة الفكر الفلسفي : د / النشار (جـ ١ ص ١٧٥) .**

الأحداث المستقبلة . (١)

ومـــن هـــنا فـــإن الرواقية تعتبر ارتداداً عما قال به فلاسفة سابقين كأفلاطون ، الذي قال بوجود عالم روحي مجرد ، حين قالوا بإلـــه جوهـــر مـــادي ، وذهبوا إلى أن كل ما ليس بمادة فهو غير موجـــود ، ويخـــتلفون عن الماديين المحدثين بأنهم ، يخلعون على جوهر مادة الله صفات الروح . (٢)

ملاحظة هامة :

ممـــا يفـــترق فيه الرواقيون عن الأبيقوريين ، أن الرواقيين قالوا بالعناية الإلهية ويريدون بها تلك الضرورة العاقلة التي تتناول الجزئيات والكليات ، ويبرئونها من الشر بقولهم إن لكل شيء ضده فالشـــر ضـــروري للعالم كضد الخير ، وإن الله يريد الخير طبعاً ، ولكن الخير وتحقيقه قد يستلزم وسائل لا تكون خيراً من كل وجه ، أما الشر والخطيئة فيعزونها للإنسان . (٣)

ولكـــن مع قول الرواقيين بالعناية الإلهية فإنهم يقولون بآلهة أخـــرى مســـاعدين للإله الذي قالوا به ، وهؤلاء الآلهة المساعدون تتصـــل بهـــم الشـــعوب عن طريق العبارات الدينية ، ولهم بعض التصـــرفات التدبـــيرية في الكون ،وإن كانوا جميعاً خاضعين للإله

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٢٢٨) .

(٢) الفلسفة الإغريق ما وفقوا فيه وما عجزوا عنه مقال ضمن تاريخ العالم (جـ ٣ ص ٧٥) .

(٣) تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٢٢٩) بتصرف .

الأكــبر . [١] وهــذه نظرة وثنية منحطة في الإسفاف والاستهتار بالإله .

وكمــا يقول " أوتربجين " إن ألوهية هذه المدرسة مضطربة متناقضــة لأنهــا بينما تجل الإله وترفعه إلى أسمى درجات الكمال وتجــزم بأنــه لا يشبه الكائنات التي يدبرها تعود فتقول في موضع آخر ، إنه هو والكون شيء واحد ، وهو المنفرد بالأزلية والأبدية ، وتعتبر كل شيء في الكون فيضاً عنه – تعود تلك المدرسة فتصرح بأنــه له مســاعدين مدعون بالآلهة الثانويين ، وهم الذين يتصلون بالبشر رضا وغضباً عن طريق الأعمال خيرها وشرها ،وهذا نقص لأنه يثبت عجزه عن قيامه بأفعاله وحده دون مساعدة ولا معين [٢] وهذا الاضطراب في الألوهية مصدره محاولة العقل البشري السير فــي طــريق غير مخصصة له ولذلك يتناقض ويضطرب ويتعثر ويفتري الكذب على الله في ذاته وصفاته وأفعاله .

ثالثاً : الأخلاق :

إن الأخــلاق هي المحور الذي دارت حوله الفلسفة الرواقية وتعريف الفلسفة عند الرواقيين يدور حول الأخلاق ، فالفلسفة عندهم هــي " فــن الفضــيلة ومحاولة اصطناعها في الحياة العملية . [٣] لقــد رأوا أن غايــة الفلسفة تقوم في كمال الحياة الخلقية بوجه عام

---

(١) **الفلسفة الإغريقية (جـ ٢ ص ١٦٤ ـ ١٦٥) .**
(٢) **نفسه (جـ ٢ ض ١٦٥) .**
(٣) **أسس الفلسفة (ص ٨٠) .**

واعتبروا أن الجميل هو وحده الكامل في عرف الأخلاق . (١)

وتقوم الأخلاق الرواقية على مبدأين :

أولاً: أن العالم يخضع لقانون مطلق لا يبيح استثناءاً .

ثانياً: أن طبيعة الإنسان التي تميزه عن سائر الكائنات تتمثل في جانبه العاقل ويلخص هذين المبدأين في شعار الرواقيين ، " عش على وفاق مع الطبيعة " ، فالناس مطالبون من ناحية أن يتشبهوا بالطبيعة بمعناها الواسع ، أي عليهم أن يتصرفوا بمقتضى قوانين الوجود ، ومن ناحية أخرى مطالبون بأن يخضعوا سلوكهم للطبيعة بمعناها الضيق ، وهو العقل ، وكلا الأمرين واحد في نظر الرواقيين لأن الكون يسير وفقاً لقانون العقل ، والإنسان الذي يتبع طبيعته العاقلة يتشبه بالعالم الأكبر ، والإنسان لا يستطيع أن يعصي قوانين الوجود ، ولكنه بعقله هو الذي ينفذ هذه القوانين عن وعي وتعمد وإدراك ، ابتغاء وتحقيق سعادته . (٢)

والسعادة التي يجب على الإنسان أن يعمل لتحقيقها ، هي الفضيلة التي تعتبر وحدها هي الخير وأن الرذيلة وحدها هي الشر . (٣)

---

(١) نفسه (ص ٨١ ، ٢٦٩) .

(٢) انظر بتصرف الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها(ص ٧٤) . وتاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٢٢٩) .

(٣) أسس الفلسفة (ص ٧٥) .

والخير الذي يمثل الفضيلة ينقسم إلى قسمين :

الأول : الخـــير الخاص أو الشخصي ، وهو ما تتعطف إليه الطبيعة البشرية ، وهذا لا دخل للعقل فيه ،وعادة ما يكون في الفترة الأولى من حياة الإنسان ، ومثاله الصحة ، واللذة المعتدلة .

الثاني : الخير العام أو المطلق : وهو ما كان نافعاً للمجتمع وإن ترتب عليه مناقضة الغريزة ، وهذا النوع هو الجدير بالاحترام عند الرواقيين . (١)

والإنسان من الناحية الأخلاقية إما أن يكون كاملاً أو ناقصاً أو شـــريراً فالإنسان الكامل ، هو الذي يختار ما يتوافق مع الطبيعة وتكـــون هذه الأشياء هي المقبولة عنده أما الأشياء المضادة للطبيعة فهي منبوذة عند ذلك الإنسان الكامل .

إما إذا ابتلى ذلك الإنسان الكامل بمرض أو أصابته مصيبة ، آثر ذلك لعلمه أنه مقدر عليه فينال بذلك الخير الحقيقي في كل حال، ولكـــن إذا أصابته مصائب لا يستطيع أن يصبر عليها ولا يطيقها – فلـــه حينـــئذ أن ينتحر ، ويتخلص من الحياة ما دام لم يجد فيها ما يوافق الطبيعة .

والإنسان الناقص يعلم المطلوب منه ، ولكنه لا يرتقي بعقله وإرادته إلى الطبيعة الكلية والإنسان الشرير غابت عنه فكرة الطبيعة الكلية ، وانحرفت ميوله عن استقامتها الأولى ، فعارض الخير الكلي

---

(١) **الفلسفة الإغريقية (جـ ٢ ص ١٦٧) .**

بأشـــباح مـــن الخـــيرات الجزئـــية أو المـــنافع العاجلـــة . ولذلك فهو يتعرض لشتى الهموم والآلام . (١)

وهـــذه المراتـــب للإنسان على الترتيب ، فعلى رأس القائمة يأتـــي الإنســـان الكـــامل ويليه الإنسان الناقص ،ويأتي في المرتبة الأخيرة الإنسان الشرير أو الضال الذي لا يعمل على وفق ما تريده الطبيعة ، ولعلنا لا نبذل كثيراً من الجهد في اكتشاف أثر سقراط في الأخـــلاق الرواقـــية ، فإن عبارته الفضيلة علم والرذيلة جهل " نجد روحهـــا تســـيطر على الأخلاق الرواقية من أولها إلى آخرها مما يـــرجح أن الرواقـــية ارتكزت على التعاليم الفلسفية قبلها سواء من ناحـــية الآراء الطبيعـــية أو مـــن ناحية الأخلاق ، خاصة في فكر مؤسسها الأول زينون. الذي قرأ تعاليم سقراط من خلال تلاميذه .

---

(١) **تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٢٣٠) ، وانظر الفلسفة الإغريقية (ص١٦٧) .**

الفهرس